من دنت إليه الدنيا فرفعته

ثم دالت عليه فوضعته

حنان بنت عبد العزيز بن عثمان بن سيف



من دنت إليه
الدنيا فرفعته
ثم دالت عليه فوضعته

تأليف

حنان بنت عبد العزيز بن عثمان بن سيف

ⓗ حنان السيف ١٤٢٢هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

ابن سيف، حنان عبدالعزيز عثمان

من دنت إليه الدنيا فرفعته ثم دالت عليه فوضعته . ـ الرياض .

١٦٨ ص ؛ ١٦,٥×٢٤ سم

ردمك : ٦ -٠٣٣-٤٠ -٩٩٦٠

١- التراجم . أ- العنوان .

ديوي ٩٢٠ ٢٨١٦ / ٢٢

ردمك : ٦ -٠٣٣-٤٠ -٩٩٦٠ رقم الإيداع : ٢٨١٦ / ٢٢

الطبعة الأولى

١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م



الله
بسم الله الرحمن الرحيم

إلـى والـدي،

إلى من علمني حبَّ طعــام العــقــول

والأرواح قـــبل أن يلقـــمني طعـــام الأبدان

إلى مــــن أنفــــق علـــيّ مـــن عـــمــــره

وكــفــاحــه وكــده حــتى اشـــتــد ســاعــدي

إلى والدي عبد العزيز بن عثمان بن سيف

أهدي هذا الكتـــاب،،،

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وبعد:

فالتاريخ فن من الفنون العلمية الجادة، ولا أحسب أن هناك فناً يجمع بين الأمور المتضادة، والأشياء المتباينة كما يجمعها فن التاريخ، ففيه حقيقة وخرافة، ومتعة وسآمة، وتطويل ممل، وإيجاز مخل، وما ظنك بعلم يؤرخ حوادث الأزمان ذاكرًا بدايتها، ومنتهيًا بنهايتها، محاولاً أن يرسمها في صورة دقيقة حيّة، فهو ذاكرة الناس يودعون فيه ما يريدون حفظه، وما يخاف عليه من الضياع والاندراس، وهو علم ممتع حقًا، لا يخلو من إملال يعرض لك حينًا، ويتوارى عنك حينًا آخر، تجد ذلك حين تقرأ في كتاب ترضيك مادته، ويسخطك ترتيبه وتنظيمه.

ولعل للقدماء عذرهم في ذلك فهم مشغولون بتقصي المادة وجمعها، ومن ثمَّ تدوينها، وبالتالي لم يهتموا بجانب الترتيب والتنظيم، وكتب التاريخ المدونة المطبوعة الآن كثيرة جدًا، منها المطنب، ومنها الموجز؛ ومن أعظم الفوائد التي تجتنى من القراءة في هذه الكتب إضافة إلى الحقيقة العلمية، والمادة الثقافية، التي تثري العقل، وتفصح اللسان، وترضي الذوق في أحايين كثيرة، هو جانب العظة والعبرة، ففي التاريخ عظات وعبر، وحكم ودُرر، وهو كما جاء في الآية الكريمة: ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾، ولو تأملت عناوين كتب التاريخ لوجدت جانب العظة فيها ظاهرًا، وهذا وهو عنوان فما ظنك باللباب، وكثيرًا ما يستهويني ذلك العنوان الذي وضعه الذهبي لأحد كتبه الذائعة، وهو «العبر في خبر من غبر».

ولقد شاقني التاريخ كثيرًا، وكانت تمر في أثناء التراجم والأخبار أمور تعجب، كتلك الشخصيات التي بلغت من العلو مبلغاً عظيمًا، وما زالت في الارتقاء حتى كشف الزمان عن مخبوئه، ونضح الإناء بما فيه ، فكانت الضعة والذلة والهوان، وقد اجتمع لي عدد لا بأس به من هذه الشخصيات التي تنطبق عليها هذه الفكرة، فضمتها تحت العنوان التالي: «من دنت إليه الدنيا فرفعته، ثم دالت عليه فوضعته»، فآثرت أن أتحفك بها، ومن الأمانة العلمية أن أقول لك: إنني نسجت هذا العنوان على عنوان كتاب للقفطي صاحب «إنباه الرواة».

ولا أدري حقيقة إن كان هذا الكتاب موجودًا أو مفقودًا، أو مطبوعًا أم باقيًا في ذمة التاريخ.

هذا وأسأل الله تعالى أن ينفع بها قارئه، وأن يجعله لوجهه الكريم، إنه على ذلك قدير، وبالإجابة جدير

وكتبت

حنان بنت عبدالعزيز بن عثمان بن سيف

٨ / ١ / ١٤٢٢ هـ

الرياض

ص . ب : ٥٤٧٥٣
الرياض : ١١٥٢٤

الملوك
والخلفاء
والأمراء

قيس بن مسعود

قيس بن مسعود بن قيس بن خالد بن عبدالله ذي الجدين، من بني ذهل ابن شيبان، من ولاة الجاهلية وله شعر، كان من عمال كسرى هرمز بن أبرويز على «الأُبُلّة» و «طف العراقين»، وعندما أقطعه كسرى الأبلة وما والاها كانت له حجرة فيها مائة من الأبل لأضيافه، وكانت إذا نحرت ناقة، أقيدت أخرى، وهو الذي عناه الشاعر الشماخ بقوله:

فـأدفع بألبـانهـا عنكم كم دفـعت

عنهم لقـاح بني قيس بن مسعود

قال المرزباني: وكان قيس بن مسعود ضمن لكسرى أحداث بكر في وائل، فتعبثت بكر بأصحاب كسرى، فكتب إليه، غررتني من قومك، وحبسه بإيوان حلوان حتى مات في حبسه، ثم أخذ كسرى في تعبئة جيوشه لذي قار، فنظم قيس أبياتاً ينذر بها قومه، ويوصيهم بنبذ ما بينهم من خصومات ويقول فيها:

ألا أبلغ بني ذهل رسولاً

فمن هذا يكون لكم مكاني

ويقول أيضًا:

ألا من مبلغ قومي ومن ذا

يبلغ عن أسير في الأوان

تطاول ليله وأصاب حزنًا

ولا يرجو الفكاك مع المنان

وقال أيضًا :

ألا ليــتني أرشــو ســلاحي وبغلتي

لمن يخـــبـــر الأبناء بكر بن وائل

وصــاة امــرئ لو كـان فـيكم أعـانكم

على الدهر والأيام فـيـهـا الغـوائل

فــــإياكم والـطف لا تـقــــربـنـه

ولا البـحـران الماء للبـحـر واصل

ولا أحـبـسنكم عن بغـا الخـيـر إنني

سـقطت على ضـرغـامـة وهو آكل

مصادر ترجمته وأخباره:

الكامل في التاريخ لابن الأثير : (١ / ٤٨٧، ٤٨٩)

تاريخ الطبري : (٢ / ٢٠٥ / ٢٠٧ / ٢١٢)

الأغاني : (٢ / ٢٩) و (٢٠ / ١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٤٠)

معجم الشعراء للمرز باني : (ص١٨٠ ـ ١٨١)

الأعلام : (٥ / ٢٠٨).

النعمان بن المنذر

من أشهر ملوك الحيرة، وكانت مدة ملكه اثنتين وعشرين سنة، وهو الذي يقال له: «أبيت اللعن» وهو ممدوح الشعراء، مدحه منهم النابغة الذبياني وفيه يقول:

أخلاق مجدك جلّت ما لها خطر
في الجود والناس بين العلم والخبر
متوّج بالمعالي فوق مَفْرقه
في الوغا ضيغم في صورة القمر

وحينما أنشده هذه الأبيات تهلل وجه النعمان، ثم أمر فحشي فوه جوهرًا، ثم قال: بمثل هذا فلتمدح الملوك.

وهو الذي قتل عبيد بن الأبرص الشاعر المشهور في يوم بؤسه، وفي ذلك يقول عبيد:

أقفر من أهله عبيدُ
فاليوم لا يبدي ولا يُعيد

وكان يقال لأبناء المنذر بن المنذر الأشاهب لجمالهم، إلا ما كان من النعمان، فقد كان أحمر أبرش (أرقط) قصيرًا، وبعد وفاة أبيه المنذر ولاه كسرى أمر العرب، بتدبير من عدي بن زيد أحد تراجمة كسرى وكتابه، فكساه كسرى وألبسه تاجًا قيمته ستون ألف درهم، مرصعًا باللؤلؤ والذهب.

وعندما تولى الملك وشى الواشون من أعداء عدي به إلى النعمان، فأرسل إليه يطلب زيارته، فلما قدم عليه سجنه، ثم قتله غمًا بوسادة، وكان عديٌّ يكتب إليه من السجن أشعارًا يستعطفه بها، ومنها:

إن للدهر صولة فاحذرنها

لا تبيتن قد أمنت الدهورا

قد يبيت الفتى معافى فيردى

ولقد كان آمنًا مسرورًا

وحدث أن أراد كسرى نساء على صفات معينة، وأن هذه الصفات في بنات النعمان وبنات عمه وأهله، فعندما قدم الرسول على النعمان وقرأ عليه تلك الصفات، قال: أما في عين السواد وفارس ما تبلغون حاجتكم؟

أي: أما في بقر السواد وفارس ما يكفيكم.

وعندما علم كسرى برده اضمر له الشر، ثم بعث إليه يطلب منه القدوم عليه، فعندما وصل إليه النعمان أرسل إليه من قيّده وبعث به إلى السجن، حتى وقع الطاعون فمات فيه.

وقيل: بل طرح به تحت أرجل الفيلة، فداسته حتى قتلته، وقرب للأسود فأكلته.

وكان قد أودع أموالاً عند هانئ بن مسعود قبل قدومه على كسرى، فلما قتله طلبها منهم، فرفضوا تسليمها، وكان ذلك سبب وقعة ذي قار، وفيها يقول الرسول ﷺ: هذا أول يوم انتصفت فيه العرب من العجم، وفي ذلك يقول زهير بن أبي سلمى:

ألم تر للنعــمــان كــان بنجــوة

من الدهر لو أن امـرأ كـان ناجـيـا

فـغـيـر عنه ملك عـشـرين حـجـة

من الدهر يومًـا واحـداً كـان غـازيا

فلم أر مـــسلوبًا لـه مـــثل ملكه

أقل صـديقًـا مـعطيًـا ومـواسـيـا

خـلا أن حـيًـا من رواحـة حـافظوا

وكـانوا أناسًـا يتـقـون المخـازيا

يسـيـرون حـتى جـيّشـوا عند ثأره

هجـان المطايا والعـتـاق المذاكـيـا

فـجـازاهم خـيـراً وأثنى عليـهم

وودعـــهم توديع أن لا تلاقـــيـــا

ومما قالوه في رثائه:

لم تبكه هند ولا أخـــتـــهـــا

خــرقــاء واســتـعـجم ناعـيــه

بين فـــيـــول الهند تخـــبطنه

مـــخـــتـــبطاً تدمى نواحـــيـــه

وجاء في مروج الذهب ما نصه: «وقد كانت خرقاء بنت النعمان بن المنذر إذا خرجت إلى بيعتها يفرش لها طريقها بالحرير والديباج، مغشى بالخرز والوشي، ثم تقبل في جواريها حتى تصل إلى بيعتها وترجع إلى منزلها، فلما هلك النعمان كلها الزمان فأنزلها من الرفعة إلى الذلة».

مصادر ترجمته وأخباره:

تاريخ الطبري : (٢ / ١٩٣ ـ ٢٠٦) .

الكامل في التاريخ : (١ / ٤٨٢ ـ ٤٨٨) .

تاريخ اليعقوبي : (١ / ٢١٢ ـ ٢١٥) .

مروج الذهب : (٢ / ٢٤ ـ ٢٧) .

الأعلام: (٨ / ٤٣).

الفِهْري

(٣٣ ـ ١٢٣ (١٢٥) هـ)

عبدالملك بن قَطَن بن نهشل بن عبدالله الفهري، أمير الأندلس، وأحد القادة الشجعان له في كل سنة غزوة، شهد وقعة الحرّة بقرب المدينة في أيام يزيد بن معاوية سنة ٦٣هـ ، وتسمى حرة واقم، ونجا من مسلم بن عقبة فيمن نجا، ثم استقر بقرطبة وتولى الأندلس سنة ١١٤هـ، وبعد مقتل أميرها عبدالرحمن الغافقي، ثم عزله أمير إفريقية سنة ١١٧هـ، وولى عقبة بن الحجاج فلم يخرج الفهري منها، وبقي إلى أن توفي عقبة، فنادى به أهل الأندلس أميرًا عليهم، وجاءه بلج بن بشر، لاجئًا من إفريقية في جمع غير قليل، فكاتب عبدالملك بن قطن، وذكر له ما صار إليه من الجهد، وأنهم قد أكلوا دوابهم، فأدخلهم عبدالملك الأندلس واشترط عليهم المقام سنة ثم يخرجون، وواساهم أهل الأندلس بما يستطيعون، ثم أباد ابن قطن البربر بالأندلس بمن كان معه من العرب، وبأصحاب بلج، ودعاهم إلى الخروج من الأندلس، فطلبوا منه مراكبًا ليحملهم فلم يعطهم، وحينما ألحّ عليهم في الخروج ثاروا عليه، وأخرجوه من القصر.

يقول ابن الأثير معلقاً على هذه الحادثة: «فلما ظفر بلج بعبدالملك أشار عليه أصحابه بقتل عبدالملك، فأخرجه من داره وكأنه فرخ لكبر سنه، فقتله وصلبه وتولى الأندلس، وكان عمر عبدالملك تسعين سنة».

ويقال: إنه صلب بصحراء رَبَض قرطبة، وصلبوا عن يمينه خنزيراً وعن يساره كلباً، ثم سرقه مواليه بالليل وغيبوه، وكان المكان يعرف بعد ذلك بمصلب ابن قَطَن.

مصادر ترجمته وأخباره:

الكامل لابن الأثير: (٥ / ١٧٤، ١٨١، ١٨٥، ١٩٢، ٢٥٠، ٢٥١، ٤٩٠، ٤٩١).

نفح الطيب: (١ / ٢٣٦، ٣ / ١٨ ـ ٢٠).

البيان المغرب: (٢ / ٢٨، ٣٠ ـ ٣٣).

الأعلام: (٤ / ١٦٢).

أبو مسلم الخراساني

(١٠٠ ـ ١٣٧ هـ)

هو أبو مسلم عبدالرحمن بن عثمان الخراساني، مسقط الدولة الأموي، ومنشئ الدولة العباسية، وهو من أعظم الملوك، يقول فيه المأمون العباسي: أجل ملوك الأرض ثلاثة الذين قاموا بنقل الدول، وهم الإسكندر، وأزدشير وأبو مسلم.

ونعته الإمام الذهبي بقوله: «كان من أكبر الملوك في الإسلام، كان ذا شأن عجيب ونبأ غريب، من رجل يذهب على حمار بإكاف من الشام حتى يدخل خراسان، ثم يملك خراسان بعد تسعة أعوام، ويعود بكتائب أمثال الجبال، ويقلب دولة ويقيم دولة أخرى».

وقد رأى أبوه وأمه حامل به أنه خرج من إحليله نار، ارتفعت في السماء وسدت الآفاق، فأولها بعض الناس له: بأن في بطن جاريته غلاماً.

وحينما شب نشأ أديبًا أريبًا يضرب به المثل، وخدم إبراهيم الإمام ، والذي كان أخاً لأبي العباس السفاح، وكان به معجبًا، وولاه أمر خراسان، وبعد قتل إبراهيم الإمام، صار أبو مسلم داعية لأبي العباس السفاح.

وعندما تولى الأمر كان له من العمر ثماني عشرة سنة، وكان كثيرًا ما ينشد:

أدركت بالحزم والكتمان ما عجزت

عنه ملوك بني مروان إذ حشدوا

مـا زلت أسعى بجهدي في دمـارهم

والقـوم في غـفلة بالشـام قـد رقـدوا

حتى ضربتهم بالسيف فانتبهوا

من نومـة لم ينمـهـا قبلهم أحـد

ومن رعى غنمًا في أرض مسبعة

ونام عنهـا تولى رعـيـهـا الأسـد

وكان عجيب الصفات تأتيه الفتوحات العظام فلا يفرح، وتنزل به الحوادث المفـزعـات فلا يتـرح، ولم يـر ضـاحكاً ولا مـازحًـا إلا في وقـتـه، ومع هذا تكبـر وتطاول، وبدرت منه بوادر أنكرها عليه أبو جعفر المنصور، وما زال يحتال حتى أقدمه وقتله، وعندما قدم عليه ومعه غلمانه وحشمه وخدمه وعليهم الديباج والذهب ومن كل ما نفس وغلا، سمع أبو مسلم قائلاً يقول:

سيأتيك ما أفنى القرون التى مضت

ومـا حلّ في أكناف عـادٍ وجـرهـم

ومن كـان أقـوى منك عـزاً ومـفـخـراً

وأقـيـد للجـيش اللُّهـام العـرمـرم

فبكى أبومسلم ولم يحر جوابًا ... وفيه يقول أبو دلامة:

أبا مـجـرم مـا غـيّـر الله نعـمـة

على عبـده حـتى يغـيّـرها العـبـدُ

أفي دولة المنصـور حـاولت غـدرة

ألا إن أهـل الغـدر آباؤك الكـرد

أبا مجرم خوفتني القتل فانتحى

عليك بما خوفتني الأسد الورد

ويقال إنه بلغ هذه الغاية وله من العمر ست وثلاثون سنة ولكن:

أين الشباب وعيشنا اللّذ الذي

كنا به زمنًا نسر ونخذل

ذهبت بشاشته وأصبح ذكره

حزنًا يعلّ به الفؤاد وينهل

مصادر ترجمته وأخباره:

وفيات الأعيان: (٣ / ١٤٥ ـ ١٥٥).

سير أعلام النبلاء: (٦ / ٤٨ ـ ٧٣).

شذرات الذهب: (٢ / ١٣١ ـ ١٣٤).

المنتظم: (٨ / ١٧ ـ ١٩).

العبر في خبر من غبر: (١ / ١٨٦).

البداية والنهاية: (١٠ / ٦٧ ـ ٧٣).

تاريخ ابن جرير: (٨ / ٤٧٩ ـ ٤٩٤).

تاريخ بغداد: (١٠ / ٢٠٧ ـ ٢١١).

الأعلام: (٣ / ٣٣٧).

المستعين بالله

(٢٢١ ـ ٢٥٢ هـ)

هو أبو العباس أحمد بن المعتصم بالله محمد بن هارون الرشيد، من خلفاء الدولة العباسية، تولى الخلافة وعمره ثمان وعشرون سنة، وكان في بداية أمره خاملاً، يرتزق من النسخ، وعندما جاءته الخلافة بغتة قال:

جـــــــــاء لـطـف الـلـه بـالأمــ

ــر الـذي لا أرتجـــــــــيــــــــه

فـــــــعـلـيّ الـيـــــــوم أن أقـــــــ

ــضـي حـق الـلـه فـــــــيــــــــه

وعندما تولى الخلافة سجن المعتز والمؤيد، واشترى أملاكهما كرهًا، وقد عُرف عنه السرف فكان متلافًا للأموال، اضطربت أمور الخلافة بولايته، وكان الترك قد نقموا عليه أمورًا، وحينما أحس بشرِّهم هرب إلى بغداد، ثم عمدوا إلى السجن فأخرجوا المعتز منه، وحدث بين المعتز والمستعين حرب وبلاء انحل فيها نظام المستعين ثم خُلع، فقال عند ذلك:

كل مـلـك مـــصـــيـــره لذهـاب

غـــيـــر ملك المهـــيـــمن الوّهاب

كل مــــا قـــــد ترى يـزول ويـفنى

ويـجــازى الـعــبــاد يوم الحــســاب

ثم اعتقل بواسط تسعة أشهر، وبعث إليه المعتز من قنعه بالسوط ثم قعد على صدره وذبحه، وقيل: بل رُكّب في زورق وشدّ في رجليه حجر ثم أغرق.

مصادر ترجمته وأخباره:

تاريخ الطبري: (٩ / ٢٤٨ ـ ٣٥٠) و (٣٦٢ ـ ٣٦٣).

تاريخ بغداد: (٥ / ٨٤ ـ ٨٥).

الكامل لابن الأثير (٧ / ١١٧ ـ ١١٨، ١٦٧ ـ ١٦٨، ١٧٢ ـ ١٧٣).

العبر: (٢ / ٨ ـ ٩).

الوافي بالوفيات: (٨ / ٩٣ ـ ٩٦).

البداية والنهاية: (١١ / ٢ و ١١).

تاريخ الخلفاء: (٣٥٨ ـ ٣٥٩).

شذرات الذهب: (٣ / ٢٣٦ ـ ٢٣٨).

سير أعلام النبلاء: (١٢ / ٤٦).

مروج الذهب: (٤ / ٩٠، ١٠٦ ـ ١٠٩).

المنتصر بالله

(٢٢٣ ـ ٢٤٨هـ)

هو أبوجعفر محمد بن المتوكل على الله جعفر بن المعتصم محمد بن هارون الرشيد من خلفاء الدولة العباسية، وحدث أن المتوكل أراد نقل العهد من ابنه المنتصر إلى ابنه المعتز لمحبته لأمه؛ وطلب منه أن ينزل عن ولاية العهد لأخيه، فأبى، فكان يحضره مجالسه ويتهدده ويشتمه ويشتم أمه، فأثرت هذه الأمور في نفسه تأثيرًا شديدًا، فعمل مع مماليكه على قتل أبيه، وهو أول خليفة من خلفاء الدولة العباسية عدا على أبيه، ومع ذلك لم يمتع بالخلافة، فقيل: إنه جلس مرة للهو، فرأى في بعض البسط دائرة فيها فارس عليه تاج، وحوله كتابة فارسية، فطلب من يقرأ له، فإذا فيها أنا شيرويه بن كسري بن هرمز، قتلت أبي فلم أمتع بالملك سوى ستة أشهر، فتغير وجهه وقام.

وفعلاً كانت مدة خلافته ستة أشهر وأيام، وهذا من عجيب الموافقات، وقد كان يتذكر قتله لأبيه كثيراً فترعد فرائصه، ويقول: لقد عوجلت فما أذني بأذني، ولا أبصر بعينى، ومن ذلك قوله لأمه: ذهبت يا أماه مني الدنيا والآخرة، عاجلت أبي فعوجلت، ومن إنشاده قوله:

فما متعت بدنيا أصبتها

ولكن إلى الرب الكريم أصير

وما كان ما قدمته وأي فلتة

ولكن بفتياها أشار مشير

وكان يكره الأتراك كثيرًا، ويقول: هؤلاء قتلة الخلفاء، فأعطوا طبيبه ابن طيفور ثلاثين ألف دينار، فسم ريشة ثم فصده بها فمات، وقيل: بل سُم في كمثراة بإبرة، وقيل: بل أصابه مرض فمات بالذبحة في حلقه، أو بورم في معدته.

وهكذا كان جزاؤه من جنس عمله، وقد مات في سن الشباب والفتوة وله من العمر ست وعشرون سنة، ومن شعره قوله:

متى ترفع الأيام من قد وضعته

وينقاد لي دهر عليّ جموح

أعلل نفسي بالرجاء وإنني

لأغدو على ما ساءني وأروح

مصادر ترجمته وأخباره:

تاريخ الطبري: (٩ / ٢٣٤ ـ ٢٣٩، ٢٥١ ـ ٢٥٥).

تاريخ بغداد: (٢ / ١١٩ ـ ١٢١).

الكامل في التاريخ: (٧ / ١١٤ ـ ١١٦).

تاريخ الخلفاء للسيوطي: (ص: ٣٥٠، ٣٥٦، ٣٥٨).

سير أعلام النبلاء: (١٢ / ٤٢).

العبر في خبر من غبر: (١ / ٤٥٢ ـ ٤٥٣).

الوافي بالوفيات: (٢ / ٢٨٩ ـ ٢٩١).

شذرات الذهب: (٣ / ٢٢٤ ـ ٢٢٦).

الأعلام: (٦ / ٧٠).

المعتز بالله

(٢٣٢ ـ ٢٥٥هـ)

أبو عبدالله، أحمد بن المتوكل جعفر بن المعتصم محمد بن الرشيد هارون العباسي من خلفاء الدولة العباسية.

استخلف وله عشرون سنة، فقال حين بويع:

تفــرد لـي الرحــمن بـالعــز والتــقى

فــأصــبــحت فــوق العــالمين أمــيــرا

كان جيد الذهن، حسن الأدب، أثنى عليه الإمام أحمد رحمه الله تعالى بذلك، وعندما تولى خلع أخاه إبراهيم الملقب بالمؤيد من ولاية العهد وحبسه، ثم طلب منه الجند أرزاقهم، فطلب من أمه «قبيحة» مالاً لينفقه فيهم، وكانت ذات أموال عظيمة، فبخلت عليه بذلك، فاجتمع الجند وضربوه وأقاموه في الحر حتى خلع نفسه، ثم أخذوه ومنعوا عنه الطعام والشراب، وعندما عطش سقوه ماء ثلج فسقط ميتًا.

ويقال: إنه عندما كان مسجونًا دخل عليه البحتري وقال:

جـعلت فِـداك الدهر ليس بمنفك

من الحـادثات المشكو أو النازل المشكي

ومـــــــــــا هـذه الأيـام إلا مـنـازل

فــمن مـنـزل رحبٍ إلـى منزل ضنـك

وقـــد هذبتك الحــــادثات وإنما

صفا الذهب الإبريز قبلك بالسبك

أمــا في رســول الله يوسف أســوة

لمثلك محبوسًا على الظلم والإفك

أقام جميل الصبر في الحبس برهة

فآل به الصبر الجميل إلى الملك

مصادر ترجمته وأخباره:

تاريخ الخلفاء للسيوطي: (ص: ٣٥٩ ـ ٣٦٠).

الكامل في التاريخ لابن الأثير: (٧ / ١٩٥ ـ ١٩٨).

تاريخ بغداد: (٢ / ١٢١ ـ ١٢٦).

تاريخ الطبري: (٩ / ٣٨٩ ـ ٣٩٠).

مروج الذهب للمسعودي: (٤ / ١١٠، ١١٢، ١١٨، ١١٩، ١٢١، ١٢٢، ١٢٥).

سير أعلام النبلاء: (١٢ / ٥٣٢).

العبر في خبر من غبر: (٢ / ١٥ ـ ١٦).

الوافي بالوفيات: (٢ / ٢٩١ ـ ٢٩٤).

البداية والنهاية: (١١ / ١٠ ـ ١١ و ١٦ ـ ١٧).

شذرات الذهب: (٣ / ٢٤٦).

الأعلام: (٦ / ٧٠).

ابن المعتز

(٢٤٧ ـ ٢٩٦ هـ)

هو أبو العباس عبدالله بن محمد المعتز بالله بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد العباسي، من الخلفاء الشعراء، خليفة يوم وليلة، فقد تولي المقتدر العباسي الحكم واستصغر فخلع، وولي ابن المعتز، ووافق على الحكم، ولكنه اشترط ألا يقتل بسببه مسلم، ولقب المنصف بالله، وقيل: الغالب بالله، ثم وثب عليه غلمان المقتدر وخلعوه، وسلّمه المقتدر إلى خادم اسمه مؤنس خنقه ثم دفنه في خرابة إزاء داره.

وكان ابن المعتز أديبًا بليغًا، وهو مصنف كتاب البديع وقد أكثر الشعراء من رثاءه، وفيه يقول علي بن محمد بن بسام الشاعر:

لله درُّك من ميت بمضيعة

ناهيك في العلم والآداب والحسب

ما فيه لوّ ولا لولا فتنقصه

وإنما أدركته حرفة الأدب

ومن عجيب المصادفات ذلك الخبر الذي يرويه بعض خدامه، فيقول: خرج يومًا يتنزه ومعه ندماؤه، وقصد باب الحديث وبستان الناعورة، وكان ذلك في آخر أيامه، فأخذ خزفة وكتب بالجص:

سقيًا لظل زماني

وعيشي المحمود

ولي كل ليلة وصلٍ

قدّام يوم صدود

ويقال: إنه قال في الليلة التي قتل في صبيحتها:

يانفس صبراً لعل الخير عقباك
خانتك من بعد طول الأمن دنياك

مرت بنا سحراً طير فقلت لها
طوباك ياليتني إياك طوباك

إن كان قصدك شرفًا فالسلام على
شاطي الصراة ابلغي إن كان مسراك

من موثق بالمنايا لا فكاك له
يبكي الدماء على إلف له باكي

فرب آمنة حانت منيتها
ورب مفلتة من بين أشراك

أظنه آخر الأيام من عمري
وأوشك اليوم أن يبكي لي الباكي

مصادر ترجمته وأخباره:

وفيات الأعيان: (٤ / ٧٦ ـ ٨٠).

الشذرات: (٣ / ٤٠٦ ـ ٤٠٩).

العبر في خبر من غبر: (٢ / ١١٠ ـ ١١١).

تاريخ الخلفاء: (ص: ٣٧٨ ـ ٣٧٩).

فوات الوفيات: (٢ / ٢٣٩ ـ ٢٤٦).

تاريخ بغداد: (١٠ / ٩٥ ـ ١٠١).

القاهر بالله

(٢٨٧ ـ ٣٣٩ هـ)

القاهر بالله أمير المؤمنين خليفة من خلفاء الدولة العباسية، وزر له رجال عظماء كالوزير المشهور ـ ابن مقلة ـ تولى الخلافة بعد أخيه المقتدر بالله المقتول سنة ٣٢٠ هـ، وعندما تولى الخلافة سعى في الأرض بالفساد والظلم والخراب، حيث صادر حاشية أخيه وعذبهم، ثم ضرب أم المقتدر وهي عليلة، فماتت شر ميته وهي معلقة بحبل، ووصفه الصولي بقوله: «كان أهوج سفّاكاً للدماء، كثير التلوُّن، قبيح السيرة مدمن الخمار، ولولا جودة حاجبه سلامة لأهلك الحرث والنسل، وكان قد صنع حربة يحملها فلا يطرحها حتى يقتل إنسانًا».

وما زال مستمرًا في ظلمه وجبروته حتى كرهته القلوب، ونفرت منه النفوس، فنظر الله إلى عباده بعين لطفه، فسلط عليه طائفة هائجة من الجند، ثارت عليه وخلعته، وكحلت عينيه بمسمار محمى حتى سالتا، وكانت مدة خلافته سنة ونصفًا وأسبوعًا.

ويروي الرواة أنه كان تارة يحبس وتارة يطلق، فوقف يومًا بالجامع بين الصفوف وعليه جبة بيضاء وقال: تصدقوا عليّ، فأنا من قد عرفتم، فقام إليه رجل وأعطاه ألف درهم ثم منعوه من الخروج.

مصادر ترجمته وأخباره:

تاريخ بغداد: (١ / ٣٣٩ ـ ٣٤٠).

الكامل في التاريخ: (٨ / ٢٤٤ ـ ٢٤٦).

مروج الذهب: (٤ / ٢٤٠).

العبر في خبر من غبر: (٢ / ٢٥٦ ـ ٢٥٧).

المنتظم في تاريخ الملوك والأمم: (١٤ / ٨٢).

البدايه والنهايه: (١١ / ١٧٠ ـ ١٧١، ١٧٨، ٢٢٣ ـ ٢٢٤).

تاريخ الخلفاء: (٣٨٦ ـ ٣٩٠).

سير أعلام النبلاء: (١٥ / ٩٨ ـ ١٠٢).

شذرات الذهب: (٤ / ٢٠٨ ـ ٢٠٩).

الأعلام: (٥ / ٣٠٩ ـ ٣١٠).

أبو تغلب الحمداني

(٠٠٠ ـ ٣٦٩ هـ)

أبو تغلب فضل الله الغصنفر بن الحسن ناصر الدولة بن عبدالله الحمداني التغلبي من أمراء الموصل، تولى الإمارة سنة ٣٥٦هـ، وحدثت له أمور كثيرة مع عضد الدولة البويهى، انتهت بزحفه من بغداد إلى الموصل، ففر أبوتغلب هاربًا، وانتقل إلى الرملة بفلسطين، ثم تسلط عليه الأمير مفرج الطائي، وانهزم جيشه، فوقف يحمي نفسه وأصحابه، وضرب على ـ رأسه ثم أُخذ أسيرًا، وقتل.

وقرئ على حائط قصر من القصور أبيات مكتوبة وهي:

يا قصر ضعضعك الزما

ن وحط من عليـاء قدرك

ومحا محاسن أسطر

شرفت بهن متون جُدرك

واهًا لكاتبها الكريـ

ـم وفخره الموفي بفخرك

وتحتها مكتوب: وكتب الغصنفر بن الحسن بن عبدالله بن حمدان سنة اثنتين وستين وثلاثمائة.

مصادر ترجمته وأخباره:

سير أعلام النبلاء: (١٦ / ٣٠٦ ـ ٣٠٧).

الكامل في التاريخ: (٨ / ٦٩٩ ـ ٧٠٠).

فوات الوفيات: (٣ / ١٧٢ ـ ١٧٣).

وفيات الأعيان: (٢ / ١١٦ ـ ١١٧).

الأعلام: (٥ / ١٢٠).

شمس المعالي قابوس بن وشمكير

(... ـ ٤٠٣ هـ)

قابوس بن وشمكير بن زيار بن وردانشاه الجيلي، وصفه الثعالبي في يتمية الدهر بقوله: (خاتم الملوك، وغرة الزمان، وينبوع العدل والإحسان ومن جمع الله سبحانه له إلى عزة العلم بسطة القلم وإلى فصل الحكمة فصل الحكم).

وكان قابوس غزير العلم وافر الأدب، صاحب رسائل وأشعار حسنة بالعربية والفارسية.

وفي المنسوب إليه قوله:

خطراتُ ذكرك تستثير مودتي
فأحس منها في الفؤاد دبيبا

لا عضو لي إلا وفيه صبابة
فكأن أعضائي خُلقن قلوبا

وكان يوصف بجودة الخط، وكان الصاحب بن عباد إذا رأى خطة قال: هذا خط قابوس، أم جناح طاووس.

وظل في ملكه يصول ويجول حتى أخرجه منه عضد الدولة البويهي سنة ٣٧١هـ ثم استعاده قابوس سنة ٣٨٨هـ، وعندما عاد كان ناقمًا على أعدائه، فتسلط عليهم فنفرت منه نفوس شعبه، وقد ورد في وفيات الأعيان ما نصه: «وكان قابوس من محاسن الدنيا وبهجتها، غير أنه كان على ما خص به من المناقب والرأي البصير بالعواقب مُرَّ السياسة، لا يُساغ كأسه ولا يؤمن بحال سطوته وبأسه، يقابل زلة القدم بإراقة الدم، لا يذكر العفو عند الغضب، فمازال على هذا الخلق حتى استوحشت النفوس منه، وانقلبت القلوب عنه».

وحدث نتيجة هذا أن أجمع العسكر على خلعه وتولية ابنه مكانه، وعندما تولى ابنه ضبط الأمور، وأحكم البلاد، وما زال الجند خائفين من والده، فأخذوا يخوفون الابن من أبيه، ثم دخلوا عليه بيته، وكان الزمن شتاء فأخذوا ما عنده من الغطاء والكسوة، وكان يستغيث ويقول: اعطوني ولو جلد دابة، فمنعوه حتى جلد الدابة، فمات من شدة البرد.

فسبحان من بيده المنع والعطاء، فبعد إمرة جرجان وطبرستان يستغيث طالباً جلد دابة، وكيف لا وهو القائل:

قل للذي بصروف الدهر عيّرنا

هل حارب الدهر إلا من له خطر

أما ترى البحر تعلو فوقه جيفٌ

ويستقر بأقصى قعره الدرر

فإن تكن عبثت أيدي الزمان بنا

ومسَّنا من تمادي بؤسه ضرر

ففي السماء نجوم ما لها عددٌ

وليس يكسف إلا الشمس والقمر

مصادر ترجمته وأخباره:

وفيات الأعيان: (٤ / ٧٩ ـ ٨٢).

الكامل لابن الأثير: (٩ / ٢٣٨ ـ ٢٤٠).

يتيمة الدهر: (٤ / ٥٩).

الأعلام: (٥ / ١٧٠).

المعتدّ بالله

(٣٦٤ ـ ٤٢٨هـ)

المعتد بالله آخر ملوك بني أمية بالأندلس، اسمه هشام بن محمد بن عبدالملك بن عبدالرحمن الناصر، يكنى بأبي بكر، وقد تولى الخلافة بعد وفاة المستكفي بالله، فكان يخطب له في قرطبة، والبلاد في أسوأ حال عاجة مائجة بالفتن، وهو ضعيف لا قدرة له على قمعها، ثم حدث أن أهل قرطبة قتلوا وزيره لظلمه لهم وتعسفه عليهم، ولأنه سامهم الخسف والذل، واستوحشوا من المعتدّ بالله فخلعوه ثم أخرجوه من القصر ومعه نساؤه وخدمه، فلجأ إلى جامع قرطبة، يعطف عليه الناس، ويتصدقون عليه بالشراب والطعام، ثم لحق بسليمان بن هود، وأقام عنده حتى وافاه الأجل المحتوم.

ومن جميل ما قاله أبو العتاهية الشاعر:

تعالى الله يا سلمَ بنَ عمرو

أذلَّ الحرصُ أعناقَ الرجالِ

هب الدنيا تُساق إليكَ عفواً

أليس مصيرُ ذاك إلى انتقالِ

أمالي عبرة في ذكرِ قومٍ

تفانوا كُلّما خطروا ببالي[1]

مصادر ترجمته وأخباره:

الكامل في التاريخ: (٩ / ٢٧٢، ٢٨٢ ـ ٢٨٤).

نفح الطيب: (١ / ٣٠١، ٤٣٢، ٤٣٨).

تاريخ الخلفاء ص: (٥٢٣ ـ ٥٢٤).

الذخيره: (١ / ٣٠٤ ـ ٣٠٥، ٦٠٢).

الأعلام: (٨ / ٨٨)

معتمد الدولة

(.... ـ ٤٤٤ هـ)

معتمد الدولة أمير كبير، دامت إمارته خمسين عامًا، واسمه: قِرْواش بن المقلد بن المسَيّب العقيلي، يكنى أبا المنيع، وقد شملت إمارته الموصل والكوفة والمدائن وسقي الفرات، وقد وصفه الواصفون بأنه كان نهابًا من الجبارين، فيه أدب وشعر، ومن ذلك قوله:

من كان يحمدُ أو يذم مورّثًا

للمال من آبائه وجدوده

فأنا امرؤ لله أشكر وحده

شكراً كثيراً جالبًا لمزيده

لي أشقر ملء العنان مغاور

يعطيك ما يرضيك من مجهوده

ومهند عضبٍ إذا جرّدته

خلت البروق تموج في تجريده

ومثقف لدن السنان كأنما

أم المنايا رُكبت في عوده

وبذا حويت المال إلا أنني

سلطت جود يدي على تبديده

وحكى بعض الناس قائلاً: كنت أساير معتمد الدولة قرواشاً ما بين سنجار ونصيبين، فنزل قصر العباس بن عمرو الغنوي، وهو مطل على بساتين ومياه كثيرة، فدخلت عليه فوجدته قائمًا يتأمل كتابة في الحائط فقرأتها، فإذا هي:

يا قـــصـــر عـــبـــاس بن عـــمـ

ـرو كـــيف فـــارقك ابن عَـــمِـــرك؟

قــــد كنت تـغــــتــــال الـدهـو

ر فكـيف غـــــالك ريب دهـرك؟

واهًـا لعـــــــزك بـل لجـــــــو

دك بل لمجـــدك بل لفــــخـــرك

وتحت الأبيات مكتوب: وكتب عليّ بن عبدالله بن حمدان سنة ٣٣١، وهو سيف الدولة ابن حمدان:

ياقـــصـــر ضـــعـــضـــعك الزمـــا

ن وحطَّ من عليـــــاء قـــــدرك

ومــــحــــا مـــحـــاسن أسطرٍ

شـــرفت بهنَّ مـــتـــون جُـــدرك

واهًا لكـاتبـــــهـــــا الكريـ

ـــم وقـــــدره الموفي بقـــــدرك

وتحتها مكتوب: وكتبه الغضنفر بن الحسن بن عبدالله بن حمدان بخطه في سنة ٣٦٢هـ.

وتحت ذلك مكتوب:

يا قـــصـــرُ مـــا فـــعل الأولى
ضُـــربت خـــيـــامـــهم بُعـــقـــرك؟
أفنى الـزمــــان علـيــــهمُ
وطـواهـم تـطـويـلُ نـشــــرك
آهًا لـقـــاصـــر عـــمــــر من
يـخـــتـــال فـــيك وطول عـــمـــرك

وتحته مكتوب: وكتب المقلّد بن المسيب بن رافع بخطه سنة ٣٨٨هـ، وتحت ذلك مكتوب:

ياقـــصـــرُ مـــا فـــعـل الكرا
م الســـاكنون قـــديم عـــصـــرك
عـــاصـــرتهم فـــبـــذذتـهم
وشـــأوتـهـم طـرّاً بـصـــبـــرك
ولـقـــد أثـار تـفـــجـــعي
يـا ابـن المســـيـب رقـمُ سطـرك
وعـــلـــمـــت أنـــي لاحـــق
بك دائـبـــاً في قـــفـــو إثـرك

وتحته مكتوب: وكتبه قرواش بن المقلد بن المسيب سنة ٤٠١هـ.

قال الراوي: فعجبت لذلك، وقلت له: الساعة كتبت هذا؟

قال: نعم، ولقد هممت بهدم هذا القصر فإنه مشؤوم.

ثم وقع خصام بينه وبين أخيه بركة بن المقلد، فقبض عليه وسجن في إحدى القلاع حتى مات، فسبحان من بيده العز والذل، والرفعة والضعة، والفقر والغنى: ﴿ كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ ﴾.

مصادر ترجمته وأخباره:

فوات الوفيات: (٣ / ١٩٨).

الكامل لابن الأثير: (٩ / ٥٥٣، ٥٥٤، ٥٦٤).

الشذرات: (٥ / ١٨٤ ـ ١٨٥).

العبر في خبر من غبر: (٣ / ١٩٨ ـ ١٩٩).

السير: (١٧ / ٦٣٣ ـ ٦٣٤).

المنتظم: (١٥ / ٣٢٧).

البدايه والنهايه: (١٢ / ٦٢).

وفيات الأعيان: (٥ / ٢٦٣ ـ ٢٦٥).

الأعلام: (٥ / ١٩٤).

ابن خزرون

(... ـ نحو ٤٥٠هـ)

هو عبدون بن خزرون الزناتي، أمير بني يرينان من زناته، في عهد ملوك الطوائف بالأندلس، أنشأ إمارة لم تطل مدتها، وكان موالياً للمعتضد بن عباد صاحب إشبيلية ثم انحرف عنه، ودعاه المعتضد إلى زيارته فلما جاءه قبض عليه وسجنه مكبلاً سنة ٤٤٥هـ، ثم قتله، وقالوا في صفة قتله: أنه أخرج من محبسه ثم أكرم، وأمر المعتضد بتطييب الحمام، وأدخله فيه، وجلس بإزاء الحوض، وخرج العبيد عنه، وقد أعدوا الجيّار والآجر فبنى عليه على دفة بيت الحمام، وأمر السخان أن يكثر الوقد فاشتعل الحمام، فقام يروم الخروج فلم يجد مخرجًا وكان آخر العهد به، وبعد مدة وجد رأسه في صندوق رؤوس الملوك الذين قتلهم المعتضد بقصره.

مصادر ترجمته وأخباره:

البيان المغرب: (٣ / ٢٠٦، ٢١٥، ٢٢٠، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٧١، ٢٧٢).

الأعلام: (٤ / ١٧٩).

أبو الوليد محمد بن جهور بن محمد

(٣٩١ ـ ٤٦٢هـ)

نشأ أبوالوليد محمد بن جهور في بيت مشهور بالوزارة، فوالده هو أبوالحزم جهور بن محمد الوزير المشهور، أفضل بني جهور وأمجدهم، استولى على قرطبة حقبة من الزمن ودبر أمورها، وضبط شؤونها وظلت قرطبة تحت حكمه، حتى توفي عام ٤٣٥، فخلفه عليها ابنه أبوالوليد محمد بن جهور، وحكمها مدة ثمانية أعوام، واقتفى سياسة والده وحزمه، وكان له ولدان الأول: عبدالرحمن، والثاني عبدالملك، وكانا يتنافسان على السلطة والولاية، فقسم أبوهما الأمور بينهما، حيث ولى عبدالرحمن أمر الجباية والإشراف على أهل الخدمة، وولى الثاني أمر الجند، ثم حدث أن دلف المأمون بن ذي النون صاحب طليطلة، وقد ورد في البيان المغرب ما نصه: كان... عبدالملك قد اعتدى، وصحب الأرذال، واستباح أموال الناس، وسلّط عليهم أهل الفساد، وأهمل الأموال الشرعية، وأخاف الطرق، وشرع في المعاصي والفسوق،... وأظهر الخنى، فكثر الدعاء عليه من أهل قرطبة،... فسلط الله عليه نكاية ابن ذي النون له وتضييقه عليه).

ثم استنجد عبدالملك بالمعتمد بن عباد لمساعدته في صد المأمون صاحب طليطلة عنهم، فهب لمساعدته ونجدته، وحين انجلت الغمة وانكشفت الكربة، واجتمع أهل قرطبة على تولية المعتمد بن عباد عليهم، وقبضوا على عبدالملك وأبيه وإخوته، وجميع أهل بيته، وحملوهم إلى جزيرة شلطيش، حيث توفي بها أبوالوليد بعد أربعين يومًا من نكبته.

وفي الذخيرة لابن بسام الشنتريني صورة مؤثرة لبني جهور حين أخرجوا من قرطبة، وقد ورد فيها ما يلي:

«وأخرج الشيخ اليفن أبوالوليد بقية أسلاف الأندلس، كان في وقته مفلوج الشدق، مائل الشق، مغلوب الباطل والحق، لم تحفظ له حرمة ، ولا رعي فيه إلّ ولا ذمة،... ولما وسط به قنطرة قرطبة خارجًا منها على مركب هجين، وكان مما حفظ عنه قوله: اللهم كما أجبت الدعاء علينا، فأجبه لنا، فمات بعد أربعين يومًا من نكبته بجزيرة شلطيش مزال النعمة، مزال الحرمة، فتعالى المنفرد بالبقاء، جبار الأرض والسماء».

ويقول شاعر الأندلس ابن زيدون في بني جهور الذين كانوا في أعلى عليين، ثم صاروا في أسفل سافلين:

لولا بني جهور ما أشرقت بهم

غيد السوالف في أجيادها تلع

قوم متى تحتفل في وصف سؤددهم

لا يأخذ الوصف إلا بعض ما يدع

أبوالوليد قد استوفى مناقبهم

كالسيف بالغ في إخلاصه الصنع

إن السيوف إذا ما طاب جوهرها

في أول الطبع لم يعلق بها الطبع

ولابن جهور كتاب اسمه «البطشة الكبرى» وصف فيه كيفية خلعهم، وإخراجهم من قرطبة.

مصادر ترجمته وأخباره:

البيان المغرب: (٣ / ٢٣٢ ـ ٢٣٣).

الذخيرة، المجلد الثاني من القسم الأول: (ص: ٦٠٤ ـ ٦١١).

سير أعلام النبلاء: (١٧ / ١٤٠ ـ ١٤٠).

الكامل: (٩ / ٢٨٥).

نفح الطيب: (١ / ٣٠٣).

الأعلام: (٦ / ٧٤).

المعتمد ابن عبّاد

(٤٣١ ـ ٤٨٨هـ)

أحد أفراد دهره شجاعة وعلماً وذكاءً، كان أديبًا شاعرًا وكاتباً مترسلاً، محسنًا جوادًا كريمًا، أحبته الشعراء فكان ممدوحهم، كبير الشأن، خير من أبيه، وهو أندى الملوك راحة، وأرحبهم ساحة، واسمه محمد بن عباد بن محمد ابن إسماعيل اللخمي، يكنى بأبي القاسم، ويلقب بالمعتمد على الله، وهو صاحب إشبيلية وقرطبة وما حولهما، وكان مولده في باجة بالأندلس، وقد تولى إشبيلية بعد وفاة أبيه سنة (٤٦١هـ)، وامتلك قرطبه وكثيراً من مدن مملكة الأندلس، واتسع سلطانه وشمل بقعة من الأرض كبيرة بلغت مدينة مرسية، وصار محط الرحال، وكعبة الآمال، وقصده أعلام الناس من أمراء وعلماء وشعراء، وقيل: إنه ولد له مئة وثلاثة وسبعون ولدًا.

وما زال في صفاء ورغد ودعة من العيش حتى سنة ٤٧٨هـ، حيث استولى ملك الروم (الأذفونش) ألفونس السادس على طليطلة، وكان ملوك الطوائف وكبيرهم المعتمد ابن عباد يؤدون له الضريبة كل سنة، وحينما ملك طليطلة رد ضريبة المعتمد وأرسل إليه يهدده، ويدعوه إلى النزول له عما في يده من الحصون، فاستنجد المعتمد بيوسف بن تاشفين، ونشبت بينهما معركة (الزلاقة) والتي هُزم فيها الأذفونش، وأبيدت عساكره.

وبعد النصر عاد ابن تاشفين إلى مراكش، وقد أعجبته بلاد الأندلس، وبهره حسنها، وحسّن له أمراؤه أخذها، وأوحشوا قلبه على المعتمد بالله.

وبعد عام زار يوسف بن تاشفين الأندلس، فأحسن المعتمد بالله استقباله، والحفاوة به، وأحب الأندلسيون ابن تاشفين، وقد قرر وضع خلق من المرابطين يقيمون فيها، ثم عاد إلى بلاده، وثارت فتنة في قرطبة سنة (٤٨٣هـ) دالت بها الدنيا على المعتمد بالله، وقد قتل ابن له، ثم فتنة ثانية اشتعلت في قرطبة غير أن المعتمد أطفأ نارها فخمدت، ثم اتقدت، وظهر من ورائها جيش يقوده (سير بن أبي بكر الأندلسي) من قواد جيش ابن تاشفين، وحوصر المعتمد في إشبيلية، ثم تفرقت جموعه، وقتل ولداه (المأمون) و (الراضي)، وفي سنة (٤٨٤هـ) حُمل مقيدًا مع أهله، على سفينة، وأدخل على يوسف بن تاشفين في مراكش، ثم أمر بإرساله ومن معه إلى أغمات، وهي بلدة صغيرة وراء مراكش وبقي فيها إلى أن مات، وعندما سجن في أغمات عامين وزياده، كان في قلة وذلة فقال:

تبـدّلـت مـن ظـلِّ الـبـنـود

بذُلِّ الحـديد وثقل القيـود

وكـان حـديدي سنانًا ذليقـاً

وعـضبـاً رقيـقًا صقـيل الحـديد

وقـد صـار ذاك وذا أدهمـا

يعـض بسـاقيّ عضَّ الأسـود

وقيل: إن بنات المعتمد أتينه في عيدٍ، وكن يغزلن بالأجرة في أغمات، فرآهن في أطمار رثه، فصدعن قلبه، فقال.

فيما مضى كنت بالأعياد مسروراً

فساءك العيدُ في أغمات مأسورا

ترى بناتك في الأطمار جائعة

يغزلن للناس ما يملكن قِطميرا

برزن نحوك للتسليم خاشعة

أبصارهن حسيرات مكاسيرا

يطأن في الطين والأقدام حافية

كأنها لم تطأ مسكاً وكافورا

ولابن اللبّانة وقد وفد بها إلى السجن:

قصور خلت من ساكينها فما بها

سوى الأدم يمشي حول واقفة الدُّمى

كأن لم يكن فيها أنيس ولا التقى

بها الوفد جمعًا والخميس عرمرما

فكنتَ وقد فارقت مُلكك مالكاً

ومن ولهي أبكى عليك متمما

مصادر ترجمته وأخباره:

وفيات الأعيان لابن خلكان: (٥ / ٣٠).

سير أعلام النبلاء: (١٩ / ٥٨ ـ ٦٦).

نفح الطيب: (٢ / ١١١٩).

البيان المغرب: (٣ / ٢٤٤ و ٢٥٧).

تاريخ ابن الأثير: (١٠ / ٨٦).

شذرات الذهب: (٥ / ٣٨٣ ـ ٣٨٩).

الوافي بالوفيات: (٣ / ١٨٣).

الأعلام: (٦ / ١٨١).

المسترشد بالله

(٤٨٥ ـ ٥٢٩هـ)

أبو منصور الفضل بن أحمد بن المقتدي عبدالله بن محمد الهاشمي من خلفاء الدولة العباسية، بويع بالخلافة سنة ٥١٢ هـ، ومكث فيها مدة سبع عشرة سنة وثمانية أشهر وأياماً، وكان فصيحًا بليغًا يستدرك على كتابه الأغاليط ويصلحها، وحدثت في أواخر أيامه فتنة دبرها أمير أمرائه السلطان مسعود بن ملكشاه السلجوقي، فأعد لها المسترشد عدته، ولكنه هزم وأسر، وقال عند أسره مستشهدًا:

ولا عجبًا للأسد إن ظفرت بها

كلاب الأعادي من فصيح وأعجم

فحربة وحشيّ سقت حمزة الرَّدى

وموت عليّ من حُسام ابن مُلجم

ويقال: إنه رأى في نومه في الأسبوع الذي قتل فيه كأن على يده حمامة مطوقة، فأتاه آتٍ، وقال له: خلاصك في ذلك، فلما أصبح حكى لابن سكينة الإمام ما رأى، فقال: ما أولته يا أمير المؤمنين؟

فقال: أولته ببيت أبي تمام الطائي:

هنَّ الحمام فإن كسرت عيافة

من حائهن فإنهن حِمامُ

وخلاصي في حمامي، وليت من يأيتني فيخلصني مما أنا فيه من الذل والحبس.

وبعد منامه بأيام دخل عليه جمع من الباطنية فقتلوه ثم مثلوا به رحمه الله تعالى.

مصادر ترجمته وأخباره:

البدايه والنهايه: (١٢ / ٢٠٧ ـ ٢٠٨).

سير أعلام النبلاء: (١٩ / ٥٦١ ـ ٥٦٨).

شذرات الذهب: (٦ / ١٤٣ ـ ١٤٦).

العبر في خبر من غبر: (٤ / ٧٦ ـ ٧٧).

تاريخ ابن الأثير: (١١ / ٢٧ ـ ٢٨).

المنتظم في تاريخ الملوك والأمم: (١٧ / ٣٠٤).

طبقات السبكي: (٧ / ٢٥٧ ـ ٢٦٣).

فوات الوفيات: (٣ / ١٧٩ ـ ١٨٢).

الأعلام: (٥ / ١٤٧).

المغِيث الأيوبي

(... ـ ٦٤٢هـ)

هو الملك المغيث عمر بن الصالح أيوب من أمراء الدولة الأيوبية، ومن خيار الملوك وأحسنهم شكلاً وأكملهم عقلاً، أسره الصالح إسماعيل وسجنه في برج قلعة دمشق، وحاول أبوه بكل ممكن في خلاصه فلم يقدر، وقيل: إنه قتل، وفي ذلك يقول ابن العماد في شذرات الذهب: «لم تحفظ عنه كلمة فحش، حبسه الملك إسماعيل وضيق عليه المسامري، فمات غمًا وغبنًا».

مصادر ترجمته وأخباره:

شذرات الذهب: (٧ / ٣٧٤).

البداية والنهاية: (١٣ / ١٦٥).

الأعلام: (٥ / ٤٢).

شجرة الدُّر

(... ـ ٦٥٥هـ)

شجرة الدُّر الصالحية، أم خليل، الملقبة بعصمة الدين، حكمت مصر مدة ثلاثة أشهر، وكان أصلها جارية من جواري الملك الصالح نجم الدين أيوب، اشتراها وتزوجها وحظيت لديه، ثم ولدت له غلامًا سماه خليلاً.

وصفها ابن العماد بقوله: «كانت بارعة الحسن، ذات ذكاء وعقل ودهاء، ونالت من السعادة أعلى المراتب، كانت تركية ذات شهامة وإقدام وجرأة».

وعندما توفي الملك الصالح، وكان جيشه في قتال الإفرنج، أخفت خبر موته واستمر كل شيء كما كان، وكانت تقول للجند والأمراء: السلطان مريض ما يصل إليه أحد، ثم أرسلت إلى ابنه (تورانشاه) وحينما علمت بوصوله إلى القدس انتقلت إلى القاهرة، فهددها وطلب منها الأموال، فخافت شره، ثم استوحش منه بعض مماليكه وقتلوه، وتولت أمر الحكم، وكان يخطب باسمها على منابر مصر والشام، وعظم سلطانها، وبلغ من قوتها أن أطلقت الملك فرنسيس ملك الأفرنج واشترطت عليه تسليم دمياط للمسلمين فوفى لها بذلك، ثم خلعت نفسها من السلطة، وولت وزيرها (عز الدين إيبك) أمور الخلافة، ولكنها ظلت محتفظة بالسيطرة عليه، ثم علمت أنه يريد الزواج من غيرها، فتعاونت مع خدمها على قتله، وعندما علم ابن عز الدين بالأمر، قبض عليها، وسلّمها إلى أمه، فأمرت جواريها بضربها، فماتت من جراء الضرب.

وقد عُرفت بقوة النفس، ورباطة الجأش، حيث أنها أحرقت كثيرًا من جواهرها عندما علمت بموتها.

ويقول ابن العماد ذاكرًا نهايتها، ومآل أمرها: «وآل أمرهاإلى أن قتلت وألقيت تحت قلعة مصر مسلوبة، ثم دفنت بتربتها) فسبحانك اللهم بعد حكم مصر، والدعاء لها على المنابر، آل أمرها إلى القتل والسلب.

مصادر ترجمتها وأخبارها:

شذرات الذهب: (٧ / ٤٦٣ ـ ٤٦٤).

البداية والنهاية: (١٣ / ١٩٩).

سير أعلام النبلاء: (٢٣ / ١٩٩ ـ ٢٠٠).

العبر في خبر من غبر: (٥ / ٢٢٢ ـ ٢٢٣).

أعلام النساء: (٢ / ٢٨٦ ـ ٢٩٠).

الأعلام: (٣ / ١٥٨).

المنصور الأيوبي

(... ـ ٦٨٨هـ)

الملك المنصور من ملوك الدولة الأيوبية، واسمه محمد المنصور شهاب الدين بن إسماعيل بن محمد بن أيوب، ولاه أبوه سلطنة دمشق سنة (٦٤٠هـ).

قال عنه ابن مكتوم: رأيته سلطانًا ورأيته يستعطي، وكان شيخًا مهيبًا يلبس قباءً وعمامة مدورة، وهو من فتح مدينة طرابلس، وغنم المسلمون منها مالاً يوصف، ثم أخربها على الإفرنج وتركها خاوية، وما زالت تتقلب به أحوال الدنيا حتى صار يطلب بالأوراق، وتذكرني حاله بحال الشاعر الذي يقول:

كم رأينا من أُناسٍ هلكوا

وبكى أحبابُهم ثُم بكُوا

تركوا الدنيا لمنْ بعدهم

وُدُّهُم لو قدّموا ما تركوا

قلّب الدهرُ عليهم فلكًا

فاستداروا حيثُ دارَ الفلكُ[1]

وبقول الآخر:

هي الدنيا تقولُ بملءِ فيها

حذارِ حذارِ من بطشي وفتكي

فـــلا يغـــررْكم منـيٍ ابتـــســـامٌ

فـقـولي مـُضـحكٌ والفـعلُ مـُبكي[٢]

مصادر ترجمته وأخباره:

شذرات الذهب: (٧ / ٧١١).

العبر في خبر من غبر: (٥ / ٣٥٦).

البدايه والنهايه: (١٣ / ٣١٥ ـ ٣١٦).

الأعلام: (٦ / ٣٤).

(١) الشوارد لابن خميس: (٣ / ٣٩٠ ـ ٣٩١).

(٢) الشوارد لابن خميس: (٣ / ٣٩٠).

الشريف عليّ

(٨٠٧ ـ ٨٥٣ هـ)

هو عليّ بن حسن بن عجلان بن رميثة الحسني، أبوالقاسم، من أشراف الحجاز، كان حسن المحاضرة كريمًا، على شيء من العلم والأدب حتى قيل: إنه أحذق بنى حسن وأفضلهم.

وقرئ عنده البخاري مرارًا، واشتغل بالصرف ولم يلم بالعربية، وولي إمرة مكة عن أخيه بركات سنة ٨٤٥ هـ، ثم نقل عنه الأعداء أشياء أوغروا بها قلب السلطان فقبض عليه وعلى أخيه إبراهيم، ووضعهما في برج القلعة في القاهرة، ثم نقل مع أخيه وجماعة إلى الإسكندرية ثم إلى دمياط فمات بها مسجونًا مطعونًا.

وكتب عنه قصيدة فاشية اللحن يقول فيها:

وإن نال العلا قرم بقوم

رقيت علوها فرداً وحيداً

وفيها:

وقد جاء في كتاب الله صدقًا

بقول عز قائله الحميدا

ترى الحسنات نجزيها بخير

وبالسياسيات ستورا

وواعــد أن بعــد العــســر يســراً

فــلا عـــز يدوم ولا ســـعـــودا

مصادر ترجمته وأخباره:

الضوء اللامع: (٥ / ٢١١).

الأعلام: (٤ / ٢٧٤).

قانصوه الغُوري

(٨٥٠ ـ ٩٢٢هـ)

قانصوه بن عبدالله الظاهري الأشرفي الغوري، يكنى بأبي النصر، سيف الدولة، وكان يلقب بالملك الأشرف، وتولى سلطنة مصر، وأقام سلطانًا خمس عشرة سنة تقريباً، خدم سلاطين الدنيا طيلة حياته، وتولى حجابة الحجاب بحلب، ثم كتب الله جلَّ جلاله أن يبايع بالسلطنة بقلعة الجبل في القاهرة سنة ٩٠٥ هـ.

وصفه الواصفون، ونعته الناعتون من المؤرخين والعلماء الأقدمين بأنه كان ذا رأي وفطنة وعقل وذكاء، واشتهر بالدهاء، وشدة القوة والشجاعة، بل كان شديد العسف، قاهرًا، قمع الأمراء، وأذل المعاندين، حتى اشتد ملكه، وقويت هيبته، فهابته الملوك وهادنته، واشتهر ببناء الآثار الكثيرة، فعمر الجوامع والقصور والمنتزهات، وقد عُرف عنه الإلمام بالموسيقى والأدب، ورغم هذا إلا أنه كان شديد الطمع، كثير الظلم والعسف، مصادرًا للناس في أخذ أموالهم، وأبطل الميراث في أيامه حتى إنه كان إذا مات أحدٌ أخذ ماله جميعًا، فجمع أموالاًعظيمة وخزائن وأمتعة، واتخذ مماليك لنفسه فصاروا يظلمون الناس، وأظهروا الفساد، وأضروا العباد.

ويحكى أن بعض مماليكه اشترى متاعًا ولم يرضَ صاحبه بقيمته، فقال له: شَرْعُ الله، فضربه بالدبوس، فشجَّ رأسه، وقال: هذا شرع الله، فسقط مغشيًا عليه، وذهب بالمتاع ولم يقدر أحدٌ على الكلام، فرفع بعض الصالحين يديه ودعا على الجندي وعلى سلطانه بالزوال، ثم قالت له نفسه: كيف يزول

ملك هذا السلطان العظيم الذي مــلأت جنوده وسطوته الأرض، غـيـر أن الله تعالى أمهله ولم يمهله، واختبره فلم يتركه، ولم يمض إلا قليل على دعوة هذا الرجل الصالح التي وافقت بابًا مفتوحًا من أبواب السماء وقال لها الله تعالى وجبت وجبت.

﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ ﴾.

﴿بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ﴿ وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ).

ثم وقعت فتنة بينه وبين السلطان سليم العثماني، حيث قصده السلطان سليم بعسكر عرمرم جرار، بعثه الله تعالى نصرًا وفوزًا ونجاة لأولئك الناس المظلومين، والذين فُلّ جمعهم، وهتكت أستارهم، وصودرت أموالهم، لا يبقي ولا يذر، ولا يأتي على شيء إلا هتكه وأفناه، فما كان من قانصوه الغوري إلا أن هبَّ للدفاع عن نفسه، وحدث قتال عظيم بينهما في «مرج دابق» على مقربة من حلب، وانهزم عسكر قانصوه الغوري، فأغمي عليه، وهو على فرسه.

وورد في الكواكب السائرة تصويرٌ عظيمٌ للموقف وما حدث، فيقول صاحب الكتاب بأسلوب مؤثر: «وغشي على الغوري، وكان بطينًا سمينًا، فطاح عن فرسة ثم طاح عنها ثانيًا فأقعدوه وقالوا له: اثبت لنا، فقال لهم: ما بقي شيء فرغت وأسكت من وقته، ثم زُحف عليهم... فتفرق عنه عسكره، وتركوه ملقى على الأرض، فمات ولم يعلم به أحد، وصار عبرة لمن اعتبر ، وصارت حاله كما قيل:

جاءته من قبل المنون إشارة

فهوى صريعًا لليدين وللفم

ورمي بمحكم درعه وبرمحه

وامتد ملقي كالفنيق الأعظم

لا يستـــجـيب لصــارخ أن يدعــه

أبداً ولا يـرجـى لخطب مـــــعظم.

مصادر ترجمته وأخباره:

الشذرات: (١٠ / ١٥٩ ـ ١٦١).

الكواكب السائرة: (١ / ٢٩٤ ـ ٢٩٧).

الأعلام: (٥ / ١٨٧).

المتوكل السعدي

(... ـ ٩٨٦هـ)

هو محمد بن عبدالله بن محمد الشيخ الحسني من آل زيدون، أبوعبدالله السعدي، الملقب بالمتوكل على الله، من ملوك الدولة السعدية بالمغرب، وصف بأنه كان متكبرًا، تيّاهًا عسوفًا على الرعية، وكان عالماً بالفقه والأدب، أخذت له البيعة بمراكش سنة٩٨١هـ بعد وفاة أبيه بعهد منه، وأرسلت إلى فاس، وناوأه عمه عبدالملك بن محمد الشيخ وآخرون.

وكان الترك العثمانيون قد توغلوا في المغرب، واستولوا على الجزائر، وزالت على يدهم في أيامه أو قبيل دولته دولة الحفصيين في تونس، وأخذ السلطان سليم العثماني يعمل على امتلاك المغرب كله، فأرسل جيشًا لقتاله، فاستولوا على فاس، وفرَّ المتوكل منهزمًا إلى مراكش، واتسعت دائرة القتال، وتتابعت الهزائم عليه، ثم استنجد بحكومة البرتغال، فارتطم البرتغاليون في حرب طحنتهم، وقتل عظيمهم (سباستيان) غريقًا في النهر.

وعندما رأى المتوكل ظفر المسلمين بجيش البرتغال وهو معه أدرك هول فعلته، فألقى نفسه في النهر وغرق، فانتشل وسلخ جلده، وحشي تبنًا وطيف به في مراكش وغيرها، وكانت العامة في المغرب تلقبه بالمسلوخ.

مصادر ترجمته وأخباره:

الأعلام: (٦ / ٢٣٩).

الــوزراء

ابن يسار

(ت ١٧٠هـ)

وزير كبير من خيار الوزراء وأفضلهم، يكنى بأبي عبيدالله، واسمه معاوية ابن عبيدالله بن يسار الأشعري بالولاء، تعلم الحديث والأدب، واتصل بالخليفة العباسي المهدي قبل أن يتولى الخلافة، فعينه كاتبًا ووزيرًا له، وكان الخليفة المهدي يعظمه تعظيمًا بالغًا، ويوقره توقيرًا ظاهرًا، وكان المهدي لا يخالفه في شيء يشير عليه به.

وحينما تولى المهدي الخلافة فوض إليه تدبير المملكة، وتنظيم الدواوين، فنهض بالوزارة وجعل لها شأنًا، وهو أول شخصية علمية تصنف كتابًا في الخراج، ذكر منه أحكامه الشرعية، ودقائقه وقواعده.

وكان يوصف بالتكبر والتجبر والغرور، مع ما وصفه به الواصفون من كثرة الخير، وعظيم الإحسان، وحب الصدقه، وعُرف عنه أيضًا حب الصلاة وكثرتها.

وتذكر كتب التراجم أنه كان له في كل يوم كر دقيق يتصدق به على المساكين، ويتولى ذلك مولى له، فلما أشتد الغلاء أتاه فقال له: قد غلا السعر، فلو نقصنا من هذا؟ فقال: أنت شيطان، أو رسول الشيطان صيره كرين، فكان له في كل يوم بعد ذلك كران يخبزان للمساكين.

وتذكر الكتب أيضًا أنه استمر في الوزراة حتى تولى الربيع بن يونس حجابة المهدي، فأفسد ثقة المهدي به، فعزله بعد أن قبض على أحد أبنائه وقتله بتهمه الزندقة، ومات معزولاً عن الوزارة.

مصادر ترجمته وأخباره:

تاريخ بغداد: (١٣ / ١٩٦ ـ ١٩٧).

الكامل لابن الأثير: (٦ / ٧٥ ، ٩٥).

العبر في خبر من غبر: (١ / ٢٥٩).

شذرات الذهب: (٢ / ٣٢٦).

الأعلام: (٧ / ٢٦٢).

الفضل بن الربيع

(١٣٨ ـ ٢٠٨ هـ)

أبو العباس الفضل بن الربيع بن يونس من كبار الوزراء، فيه أدب وحزم، وكان والده وزيرًا عند المنصور العباسي، أما صاحب الترجمة فقد تبوأ منزلة كبيرة عند الرشيد، وكان متمكنًا منه جدًا، وكان كارهًا للبرامكة كرهًا شديدًا، وما زال يحفر من بعدهم حتى تولى الوزارة مكانهم، ويقال: إنه دخل يومًا على يحيى بن خالد وابنه جعفر يوقع بين يديه، ومع الفضل عشر قصص، فلم يقض له منها واحدة، فجمعهن الفضل بن الربيع، وقال: ارجعن خائبات خاسئات، ثم نهض وهو يقول:

عسى وعسى يثني الزمان عنانه
بتصريف حال والزمان عثور

فتقضى لبانات وتشفى حزائز
وتحدث من بعد الأمور أمور

فسمعه الوزير يحيى بن خالد وقال له: أقسمت عليك لما رجعت، فأخذ منه القصص ووقع عليها.

وعندما تولى الأمين الخلافة أقره في وزارته، فأخذ يشن الخصومة للمأمون، وحينما هزم الأمين وانتصر المأمون هرب الفضل بن الربيع واستتر عنه فعفا عنه المأمون، ولكنه أهمله، فظل في عهد المأمون بطالاً إلى أن مات، وفيه يقول أبو نواس:

مـــــــا رعـى الـدهـر آل بـرمـك لمـا

أن رمـى مـلـكـهـم بـأمــــــــر فـظـيـع

إن دهـراً لمـا يـرع ذمــــة لـيـــحــــيى

غــــــيــــــر راع ذمــــــام آل الـربـيـع

وهكذا الدنيا تعب طالبها، وحزن سالكها، سرورها قليل، وهمها كثير.

مصادر ترجمته وأخباره:

البدايه والنهايه: (١٠ / ٢٦٣).

تاريخ بغداد: (١٢ / ٣٤٣ ـ ٣٤٤).

وفيات الأعيان:(٤ / ٣٧ ـ ٤٠).

العبر في خبر من غبر: (١ / ٣٥٥).

شذرات الذهب: (٣ / ٤٢ ـ ٤٣).

سير أعلام النبلاء: (١٠ / ١٠٩ ـ ١١٠).

معجم الشعراء للمرزباني ص: (١٦٣).

الأعلام: (٥ / ١٤٨).

الفضل بن يحيى البرمكي

(١٤٧ ـ ١٩٣هـ)

رجل من رجالات العالم، كان يضرب بكبره وتيهه المثل، هو الفضل بن يحيى بن خالد البرمكي، وزير هارون الرشيد، وأخوه من الرضاعة، استعمله على المشرق كله، واستعمل أخاه جعفرًا على المغرب كله.

وكان الفضل من أجود الناس وأكرمهم، وله أخبار في السخاء المفرط، ويقال: إنه وصل مرة بعض أشراف العرب بخمسين ألف دينار، وعندما أصابت النكبة البرامكة قبض عليه، وعلى أبيه يحيى وأودعا السجن، ثم صودرت أموالهما، وضرب الفضل في المصادرة مئتي سوط حتى كاد يتلف، وحينما كان في السجن كان ينشد كثيرًا قول أبي العتاهية:

إلى الله فيما نالنا نرفع الشكوى

ففي يده كشف المضرة والبلوى

خرجنا من الدنيا ونحن من أهلها

فلسنا من الأموات فيها ولا الأحيا

إذا جاءنا السجان يومًا لحاجة

عجبنا وقلنا جاء هذا من الدنيا

وكان الفضل من أبر الناس بأبيه، وعندما كانا في السجن كان يأخذ الإبريق النحاس وفيه الماء فيلصقه ببطنه علَّ برودته أن تنكسر بحرارة بطنه، ليستعمله أبوه بعد ذلك، لأن تسخين الماء كان متعذرًا عليهم.

وظل الفضل مسجونًا حتى توفي في سجنه بالرقة.

مصادر ترجمته وأخباره:

وفيات الأعيان:(٤ / ٢٧ ـ ٣٦).

الكامل في التاريخ: (٦ / ٢١٠).

تاريخ بغداد: (١٢ / ٣٣٤ ـ ٣٣٩).

سير أعلام النبلاء: (٩ / ٩١ ـ ٩٢)

العبر في خبر من غبر: (١ / ٣٠٩).

شذرات الذهب: (٢ / ٤٢٣ ـ ٤٢٧).

تاريخ الطبري: (٨ / ٣٤١).

الأعلام: (٥ / ١٥٢).

أبو الفضل جعفر البرمكي

(١٥٠ ـ ١٨٧هـ)

أبو الفضل جعفر البرمكي شخصية تاريخية عظيمة، ضحكت له الدنيا ردحًا من الزمن ثم عبست، وانبسطت ثم انقبضت، وهكذا هي ولسان حالها يقول:

لكل شيء إذا ما تم نقصان
فلا يغر بطيب العيش إنسان

هي الأمور كما شاهدتها دولٌ
من سره زمن ساءته أزمان

وصف بالفصاحة والسؤدد والأيادي البيضاء، واسمه كاملاً جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك الفارسي، وقد كان الخليفة العباسي الشهير المهدي قد ضم إلى كبير البرامكة ـ يحيى بن خالد البرمكي ـ والد جعفر المترجَم له ـ تربية ابنه هارون الرشيد، فأدبه وأحسن تأديبه، ورباه فأحسن تربيته، وقد جمع الله الشتيتين فأحب هارون يحيى حبًا جمًا، من شدة حبه وكماله كان يدعوه يا أبي، وكانت أم جعفر هي أم الرشيد من الرضاعة، فاجتمعت كل هذه الأمور، وشدَّ بعضها ساعد بعض، وطار حظهم حين تولى الرشيد مقاليد الحكم، فجعل يحيى بن خالد على الوزارة، ولأولاده الحول والطول، ومن أخصهم في هذه المنقبة «جعفر».

يقول الإمام الذهبي ـ رحمه الله عليه ـ: «وما أدراك ما جعفر، له نبأ عجيب، وشأن غريب، بقي في الارتقاء في رتبة شرك الخليفة في أمواله

ولذاته وتصرفه في الممالك، ثم انقلب الدّست في يومٍ فقتل، وسجن أبوه، وإخوته إلى الممات، فما أجهل من يغتر بالدنيا».

وقد أعطي جعفر جمال الخَلق والخُلق، فكان وسيمًا أبيض جميلاً، من ذوي الفصاحة، والمشهورين باللسن والبلاغة، وقد وصفه الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد بقوله: «كان سمح الأخلاق، طلق الوجه، ظاهر البشر»، وأما حديثه فقد وصفه الواصفون بقولهم: «جمع الهدوء والتمهل والجزالة والحلاوة وإفهامًا يغنيه عن الإعادة».

وقّع إلى أحد عماله وقد شُكي منه فكتب:« قد كثر شاكوك، وقلَّ شاكروك، فإما اعتدلت وإما اعتزلت».

وأما الجود والكرم فأشهر من أن يذكر وهو القائل: «إذا أقبلت الدنيا عليك فأعطِ فإنها لا تفنى، وإذا أدبرت فأعط فإنها لا تبقى».

ويقال: إنه حينما حج، وقفت له امرأة، وكانت السنة مجدبة، فأنشدته:

إني مررت على العقيق وأهله

يشكون من مطر الربيع نزورا

ما ضرَّهم إذ جعفر جادَ لهم

أن لا يكون ربيعهم ممطورا

فأجزل لها العطاء، جرّاء قولها هذه الأبيات.

وقد كانت لجعفر مكانة عالية، وحالة منفردة عند هارون الرشيد، ونال من الوزارة منزلة لم ينلها وزير قبله ولا بعده، حيث كان يدخل عليه بلا إذن، وهو في أخص أحواله، ويقال: إن الرشيد اتخذ ثوبًا له زيقان[1]، فكان يلبسه هو

وجعفر جملة، ولم يكن يصبر عنه قط، ولا يتم له سرور إلا به ، ورغم هذا، بل أكثر منه فـ

هذه الدار لا تُبقي على أحدٍ
ولا يدوم على حالٍ لها شانُ

تغير الرشيد عليهم ونكبهم نكبة عظيمة، أثرت في التاريخ تأثيرًا عظيمًا، فلا يذكر الرشيد إلا ويذكر معه حدث تاريخي خطير ألا وهو «نكبة البرامكة»، وقد تفاعل المؤرخون بشدة مع هذه النكبة، وحظيت منهم باهتمام كبير، فلا تكاد تبحث في كتبهم إلاّ وجدت كثيرًا منهم قد عبر عن شعوره تجاهها، يقول الإمام ابن كثير رحمه الله رحمة واسعة: «كان مهلك البرامكة على يدي الرشيد، قتل جعفر بن يحيى بن خالد البرمكي، ودمر ديارهم، واندرست آثارهم، وذهب صغارهم وكبارهم».

وقد تفاعل المؤرخون بشدة مع هذه النكبة، وعللوها بأسباب كثيرة منها:

ـ أن هارون الرشيد سلّم إلى جعفر بن يحيى رجلاً اسمه: يحيى بن عبدالله بن الحسين لخروجه عليه، فرقَّ له جعفر وأطلقه، وحينما علم هارون الرشيد بحقيقة الأمر تغيّظ عليه.

ـ وقيل: بل بنى جعفر دارًا غرم عليها عشرين ألف ألف درهم، فنقم عليه ذلك.

ـ وقيل: إنه كان لا يمر ببلد ولا إقليم ولا قرية ولا مزرعة ولا بستان، إلا قيل: هذا لجعفر البرمكي.

ـ ومنها أن يحيى بن خالد حجَّ فتعلق بأستار الكعبة، ودعا على نفسه

بزوال ملكه، حتى يكون كفارة لذنوبه، وكان من دعائه: اللهم إن ذنوبي جمة عظيمة لا يحصيها غيرك، اللهم إن كنت تعاقبني فاجعل عقوبتي بذلك في الدنيا، وإن أحاط ذلك بسمعي وبصري وولدي ومالي، حتى يبلغ رضاك، ولا تجعل عقوبتي في الآخرة.

فاستجيب له وهذا وجه وسبب له وجاهته، فسهام الليل لا تخطي مراميها، وقد ورد في بعض الكتب المترجمة له: «وكان من الأسباب أيضًا، ولا تعده العامة سببًا، وهو أقوى الأسباب».

ومن الأسباب الغريبة ما ذكر من أن الرشيد كان يشرب في آخر أيامه المسكر، وكان محبًا لأخته العباسة، ويحضرها معه مجلس شرابه، وجعفر معه، فزوجه بها ليحل له النظر إليها، وشرط عليه عدم الوطء، ولكنها خدعته، ومكنته من نفسها، لقصة سردها التاريخيون والمترجمون في كتبهم، وترتب على هذا أن حبلت منه، وانجبت ولدًا، واخفته عن أخيها هارون الرشيد، وحينما علم الرشيد، وتثبت من الأمر، كانت النكبة الأليمة.

وقيل: إن سعيد بن سالم سئل عن جناية البرامكة الموجبة لغضب الرشيد، فقال: والله ما كان منهم ما يوجب بعض عمل الرشيد بهم، ولكن طالت أيامهم، وكلٌّ طويل مملول، والله لقد استطال الناس الذين هم خير الناس أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وما رأوا مثلها عدلاً وأمنًا وسعة أموال وفتوح، وأيام عثمان رضي الله عنه حتى قتلوهما.

ومن الأسباب الموجبة للنكبة والتي ألمح إليها المؤرخون قولهم: إن أعداء جعفر البرمكي، كالفضل بن الربيع وغيره، لاذوا بالرشيد فأظهروا القبيح، وستروا الحسن، حتى حدثت النكبة، وكان الرشيد إذا ذكروهم بعد ذلك ينشد البيت الشعري الآتي:

أقلّوا عليـــــهم لا أبا لأبيكم

من اللوم أو سُدُّوا المكان الذي سدوا

ثم أمر الرشيد بجعفر فقتل، ونُصب رأسه، ثم شقت جثته، واحتاط على جميع البرامكة، فلم يفلت منهم أحد، واستباح قصورهم، وهتك ستور دورهم، ونهب أموالهم، فنظر يحيى بن خالد إلى ما حدث بأمواله، فقال: «هكذا تقوم الساعة».

وقال له أحد أولاده وهم في القيود: يا أبه بعد الأمر والنهي، والأموال صرنا إلى هذا؟

قال: يا بُنيّ دعوة مظلوم غفلنا عنها، لم يغفل الله عنها.

فهكذا كان مصيرهم، قتل جعفر، وسجن والده وإخوته.

﴿ كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ﴾.

وقد أحس جعفر بدنو أجله، وقرب رحيله، وذلك حين انتبه من منامه يبكي مذعورًا، وقال: رأيت شيخنا جاء فأخذ بعضادتي هذا الباب، وقال:

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا

أنيس ولم يســمــر بمكة ســامــر

بلى نحن كنا أهلهـــا فـــأبادنا

صروف الليالي والجدود العواثر

فلما كان من الغد، قُتل ونصب رأسه على الجسر.

ويقال: إن الرقاشي نظر إليه وهو على جذعه فقال:

أمـــــا والله لولا خـــــوف واشٍ
وعين للخليـــــفـــــة لا تنام

لطفنا حــول جـذعك واســتلمنا
كـمـا للناس بالحـجـر اسـتـلام

فمـا أصبـرت مـثلك يا بن يحـيى
حـسـامًـا فله السـيف الحسـام

على اللذات والدنيـا جـمـيـعًـا
ودولـة آل بـرمـك والسـلام

ووقفت امرأة وقالت له: والله ياجعفر لئن صرت اليوم آية، لقد كنت في المكارم غاية، ثم أنشأت تقول:

ولما رأيت السـيف خـالط جـعـفـراً
ونادى منادٍ للخليـفـة في يحـيى

بكيت على الدنيـا وأيقنت أنما
قصارى الفتى يومًا مفارقة الدنيا

ومـــا هي إلا دولـة بعـــد دولـة
تـخـوِّل ذا نعـمى وتعـقب ذا بلوى

إذا أنزلـت هـذا مـنـازل رفـعـــة
من الملك حطت ذا إلى الغاية القصوى

وبكى على جعفر البرمكي علماء الإسلام، وفقهاء الدين، وعندما بلغ سفيان بن عيينه رحمه الله تعالى قتله، استقبل القبلة، وقال: اللهم إن جعفراً قد كفاني مؤنة الدنيا، فاكفه مؤنه الآخرة.

وندم الرشيد على قتلهم حين لا ينفع الندم، وقال: لعن الله من أغراني بالبرامكة، فما وجدت بعدهم لذة ولا راحة ولا رجاء، وددت والله أني شطرت نصف عمري وملكي، وأني تركتهم على حالهم.

وقد ذاق البرامكة الفقر المدقع، والذل المهين، فصاروا يضربون مثلاً سائراً لتحول النعمة والرفعة إلى النقمة والمهانه.

ودخلت عبادة والدة جعفر على أناس في عيد الأضحى تطلب منهم جلد كبش لتستدفأ به، فسألوها عن أيام العز والجاه، فقالت: لقد أصبحت في مثل هذا اليوم، وإنَّ على رأسي أربعمائة وصيفة، وكنت أقول: إنَّ ابني جعفر عاق لي.

وقد زال أمرهم، واندثر ملكهم، فسبحان مقلب القلوب، وقالب الأيام، ومن بيده ملكوت كل شيء، يهب ملكه من يشاء، وينزعه ممن يشاء ، ويعز من يشاء ويذل من يشاء بيده الخير وهو على كل شيء قدير.

وقل للمنايا قد ظفرت بجعفر

ولن تظفري من بعده بمسوِّد

وقل للعطايا بعد فضل تعطلي

وقل للرزايا كل يوم تجددي

ودونك سيفًا برمكياً مهنداً

أصيب بسيف هاشمي مهندِ

أهم مصادر ترجمته وأخباره:

تاريخ الطبري: (٨ / ٢٨٧ ـ ٣٠٢).

تاريخ بغداد للخطيب البغدادي: (٧ / ١٥٢ ـ ١٦).

المنتظم في تاريخ الملوك والأمم لابن الجوزي: (٩ / ١٢٦ ـ ١٤٨).

الكامل في التاريخ لابن الأثير: (٦ / ١٧٥ ـ ١٨٠).

وفيات الأعيان لابن خلكان:(١ / ٣٢٨ ـ ٣٤١).

سير أعلام النبلاء للذهبى: (٩ / ٥٩ ـ ٧١).

العبر للذهبي: (١ / ٢٩٨).

الوافي بالوفيات للصفدي: (١١ / ١٥٦ ـ ١٦٥).

البدايه والنهايه لابن كثير: (١٠ / ١٨٩ ـ ١٩٧).

شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد: (٢ / ٣٩١ ـ ٣٩٧).

الأعلام لخير الدين الزركلي: (٢ / ١٣٠).

(١) زيقان: زِيق القميص بالكسر، ما أحاط بالعنق منه، ينظر القاموس، مادة: زِيق.

ابن الفرات

(٢٤١ ـ ٣١٢هـ)

أبو الحسن علي بن محمد بن موسى بن الحسن بن الفرات، من الوزراء الكبار، تولى وزارة المقتدر بالله ثلاث مرات، وظل وزيرًا له إلى أن نكبه، وأصابته الذلة والمهانة بعد العزة والرفعة.

ويقال: إنه عندما أعيد إلى الوزارة في المرة الثانية خُلع عليه سبع خلع، وحملت إليه أموال عظيمة جدًا، وعدد وآلات كثيرة، وسقي في بيته أربعون ألف رطل من الثلج، وكان عظيمًا جبارًا عسوفًا ذا أموال كثيرة، ودنيا عريضه، وكانت فيه فضائل منها: أن الناس إذا مشوا بين يديه غضب، وقال: أنا لا أكلف هذا غلماني، فكيف أكلف أحرارًا لا إحسان لي عليهم.

وكان يجري الرزق على خمسة آلاف من أهل العلم والدين وعلى الفقراء أيضًا، ولم تطل به المدة في وزارته الثانية بل عزل عنها، ثم أعيد إليها مرة ثالثه، وحين عاد هذه المرة كان ناقمًا على أعدائه، مغتاظًا من خصومه، فأطلق يد ولده المحسِّن فيهم فما زال يقتل ويسفك الدماء، حتى أمر المقتدر بالله بالقبض على ابن الفرات وولده، وفي ذلك يقول الصُّولي: «قبض المقتدر على ابن الفرات وهرب ابنه فاشتد السلطان وجميع الأولياء في طلبه إلى أن وجد، وقد حلق لحيته وتشبه بامرأة في خفٍ وإزار، ثم طولب هو وأبوه بالأموال».

فسبحان من بيد العز والذل والعطاء والمنع، فبعد سفك الدماء وقتل النفوس، وبعد الأمر والنهي يختفي المحِّسن في زي امرأة، ويخضب يديه حتى لا يعرف، وعندما قبض عليه في هذه الحالة عُذّب، ثم أمر المقتدر بالله بقتلهما، وألقيت الرؤوس في دجلة.

ومن الأخبار الغريبة أن زوجة المحسِّن افتقرت جدًا، وارادت أن تختن ابنها، ولم تجد مالاً، فرأت زوجها المحسِّن في منامها، وأخبرته بفقرها، فقال لها: إن لي عند فلان عشرة آلاف دينار أودعته إياها، فانتبهت واخبرت أهلها فسألوا الرجل، فاعترف وحمل المال عن آخره.

وفي المحسِّن هذا، أنشد أبو بكر العلاف قصيدة في رثائه، وكنى عنه بالهر، لأنه لم يجسر على التصريح باسمه وذكره، وقد أوردها ابن خلكان في وفيات الأعيان (٢ / ١٠٩) ومنها قوله:

ياهرُّ فارقتنا ولم تعد

وكنتَ عندي بمنزله الولد

فكيف ننفكُّ عن هواك وقد

كنت كنا عُدة من العُدد

تطرد عنا الأذى وتحرسنا

بالغيب من حيّةٍ ومن جُرد

وتخرج الفأر من مكامنها

ما بين مفتوحها إلى السدد

يلقاك في البيت منهم مدد

وأنت تلقاهم بلا مدد

وفي ابن الفرات قال الشاعر:

أياديك عندي معضمات جلائل

طوال المدى شكري لهن قصير

فـإن كنت عن شكري غنيًـا فـإنني
إلـى شُكـر مــا أوليــتني لفــقــيــر

وحينما آل ابن الفرات إلى ما آل إليه قال القائل فيه أيضًا:

قل لهـــذا الوزير قـــول مـــحق
بـثَّـــــه الـنـصـح أيمـا إثـبــــــات

قـــــــد تـقـلّـدتـهـــــــا ثـلاثـاً
وطلاق البـــتـــات عند الثـــلاث

ويقول فيه الإمام ابن كثير في البداية والنهاية ما نصه: «وكانت فيه مروءة وكرم وحسن سيرة في ولاياته، غير هذه المرة «أي المرة الأخيرة» فإنه ظلم وغشم وصادر الناس وأخذ أموالهم، فأخذه الله أخذ القرى وهي ظالمة، أخذ عزيز مقتدر».

مصادر ترجمته وأخباره:

سير أعلام النبلاء: (١٤ / ٤٧٤ ـ ٤٧٩).

شذرات الذهب: (٤ / ٦٠ـ٦١).

العبر في خبر من غبر: (٢ / ١٥٧ ـ ١٥٨).

البدايه والنهايه: (١١ / ١٥١ ـ ١٥٢).

المنتظم في تاريخ الملوك والأمم: (١٣ / ٢٤١ ـ ٢٤٤).

الكامل في التاريخ: (٨ / ٩).

وفيات الأعيان:(٣ / ٤٢١ ـ ٤٢٩).

الأعلام: (٤ / ٣٢٧).

ابن الجرَّاح

(٢٤٣ ـ ٢٩٦هـ)

هو محمد بن داود بن الجرَّاح، أبو عبدالله، أديب من علماء الكتاب، كان كاتبًا عارفًا بارعًا بأيام الناس، وأوحد أهل العلم بالأخبار، من أهل بغداد، وهو عم علي بن عيسى الوزير، كان صديقًا لعبدالله بن المعتز، ووزر له يوم خلافته، قال أبو عمر محمد بن يوسف القاضي: لما جرت واقعة ابن المعتز حُبست أنا والقاضي أبو المثنى أحمد بن يعقوب، ومحمد بن داود بن الجرّاح، وكنا في دار في ثلاثة أبيات متلاصقات، وبيتي في الوسط، وإذا جننا الليل تحدثنا من وراء الجدار، وأوصى بعضنا إلى بعض، فلما كان في بعض الليالي دخل أناس بشموع إلى بيت محمد بن داود، وأخرجوه، وأضجعوه للذبح، فقال: ياقوم ذبحًا كالشاة أين المصادرات؟ أين أنتم من الأموال، أنا أفدي نفسي بكذا وكذا، فلم يُسمع منه، وذبحوه، وأخذوا رأسه وألقوا جثته في البئر.

ومن شعره قوله:

أعينُ أخي أو صاحبي في مصابه
أقومُ له يوم الحفاظ وأقعدُ

ومن يفرد الأقوام فيما ينوبهم
تُبته الليالي مرةً وهو مفرد

مصادر ترجمته وأخباره:

الوافي بالوفيات: (٣ / ٦١ ـ ٦٢).

فوات الوفيات: (٣ / ٣٥٣ ـ ٣٥٤).

تاريخ بغداد: (٥ / ٢٥٥).

المنتظم في تاريخ الملوك والأمم: (١٣ / ٩١).

العبر في خبر من غبر: (٢ / ١١٢ ـ ١١٣).

شذرات الذهب: (٣ / ٤١٠).

الأعلام: (٦ / ١٢٠).

ابن مُقْلة

(٢٧٢ ـ ٣٢٨هـ)

ابن مقلة وزير من وزراء الدنيا الكبار، ومن كتاب الأدب المشهورين، ويضرب به المثل في جودة الخط وجماله وملاحته، فهو في فن الخط ورسمه بمثابة المقلة من العين، فوافق اسمه صنعته، ووافقت حرفته مسماه، وقد جمع الله له بين منزلتين عاليتين وهما النظم والنثر، وكان يدعى محمد بن عليّ بن الحسين بن مُقله، وأما كنيته فهي أبو على.

وكان في بداية أمره، وأول سنيه، ضعيف الحال، قليل المال، رث الهيئة، ولكنه كان ذا همة عالية، ونفس حرون أبيّه، تواقة شواقة، تاقت إلى الوزارة، فوافقت همته قدره، وطموحه غيبه، فوزر لثلاثة من خلفاء الدولة العباسية وهم: المقتدر والقاهر بالله، والراضي.

وتذكر كتب التراجم أنه كان بينه وبين جحظة الشاعر صداقة، فعندما تولى الوزارة، استأذن عليه جحظة فلم يؤذن له، فقال:

قل للوزير أدام الله دولته
اذكر منادمتي والخبز خشكار
إذ ليس بالباب برذون لنوبتكم
ولا خمار ولا في الشط طيّار

وعندما تولى الوزارة في عهد الراضي، كان أبو بكر محمد بن رائق متولي أمر الضياع والخراج، فاحتاط على أملاك ابن مقلة، فنفس عليه، أي حقد

عليه، وأخذ في التشويش عليه، فتمكن ابن رائق منه وقطع يده اليمنى، وكان ينوح عليها ويقول: خدمت بها الخلفاء، وكتبت بها القرآن الكريم، دفعتين، تقطع كما تقطع أيدي اللصوص، وينشد:

إذا ما مات بعضك فابك بعضًا

فإن البعض من بعض قريب

ورغم هذا إلاّ أنه من فرط حبه للخط والأدب كان يشد القلم على ساعده ويكتب به، وكان سبب قطع يده، أن أبا الحسن محمد بن شنبوذ المقرئ، دعا عليه دعوة حارة، فاستجيبت وفي هذا يقول الإمام ابن كثير: «اختار (يقصد ابن شنبوذ) حروفاً في القراءات أنكرت عليه، وعقد له مجلس في دار الوزير ابن مقلة، وضرب حتى رجع عن كثير منها، وكانت قراءات شاذة أنكرها عليه قراء عصره، وقد دعا على الوزير ابن مقلة حين أمر بضربه، فلم يفلح ابن مقلة بعدها، بل عوقب بأنواع من العقوبات».

وعندما قدم بجكم التركي من بغداد، كان من المنتمين إلى ابن رائق، فأمر بقطع لسانه، فقطع، وحُبس مدة، ولحقه سقم، فكان يخدم نفسه بنفسه، ويستسقي لنفسه، فيجذب بيده اليسرى جذبة، وبفمه الأخرى، ويرثي حاله بأشعار منها:

ما سئمت الحياة لكن توثقـ

ـت بأيمانهم فبانت يميني

بعت ديني لهم بدنياي حتى

حرموني دنياهم بعد ديني

ولقد حُطت ما استطعت بجهدي

حفظ أرواحهم فما حفظوني

ليس بعد اليمين لذة عيش

ياحياتي بانت يميني فبيني

ومن أشعاره في التجلد والصبر قوله:

لست ذا ذلة إذا عضني الدهـ

ـر ولا شامخًا إذا واتاني

أنا نار في مرتقى نفسي الحا

سد ماء جار مع الإخواني

وقد تبوأ ابن مقلة مكانة رفيعة جدًا، وحسبك بهذا أنه وزر ثلاث مرات لثلاثة خلفاء.

ويقال: إنه عندما تولى وزارته الأولى كانت فاكهته بخمس مئة دينار في كل يوم جمعة، وحينما همَّ ببناء دار عظيمة جمع المنجمين واختاروا لها وقتًا، وعندما أنشأها، وكانت غاية في العظمة والفخامة والبهاء قيل فيها:

قل لابن مقلة مهلاً لا تكن عجلاً

واصبر فإنك في أضغاث أحلام

تبني بأنقاض دور الناس مجتهداً

داراً ستهدم أيضًا بعد أيام

مازلت تختار سعد المشتري لها

فلم توقَّ به من نحس بهرام

إن القرآن وبطليموس ما اجتمعا

في حـال نقضٍ ولا في حـال إبرام

وقد صدقت فراسة القائل، واحترقت داره بعد ستة أشهر، وصارت عظة للمتعظ، عبرة للمعتبر.

ويقول الإمام ابن كثير عليه ـ رحمه الله وغفرانه ـ: «ثم صار هذا كله عما قريب بعد النضرة والبهجة والبهاء إلى الهلاك والبوار والفناء والزوال، وهذه سنة الله في المغترين الجاهلين الراكنين إلى دار الفناء والزوال».

مصادر ترجمته وأخباره:

وفيات الأعيان:(٥ / ١١٣ ـ ١١٨).

سير أعلام النبلاء: (١٥ / ٢٢٤).

المنتظم في تاريخ الملوك والأمم: (٦ / ٣٠٩ ـ ٣١١).

الكامل في التاريخ: (٨ / ١٨٣).

البدايه والنهايه: (١١ / ١٩٥ ـ ١٩٦).

شذرات الذهب: (٢ / ٣١٠ ـ ٣١٢).

العبر في خبر من غبر: (٢ / ٢١٧).

الأعلام: (٦ / ٢٧٣).

معجم المؤلفين: (١٠ / ٣٢٠).

ابن العميد

(٣٣٧ ـ ٣٦٦هـ)

أبو الفتح عليّ بن محمد بن الحسين، وزير كبير، وابن وزير عظيم، وهو ابن أبي الفضل (ابن العميد) الوزير المشهور المتوفى سنة ٣٦٠هـ.

وكان أبو الفتح هذا من الكتاب الشعراء، فيه ذكاء خارق، تولى الوزارة وله من العمر اثنتان وعشرون سنة، ولقبه الخليفة الطائع لله بذي الكفايتين وهما: السيف والقلم، وحينما تولى الوزارة كان شابًا نزقًا يتبسط في أمور كثيرة، حمله عليها خفة الشباب وطيشه، وكان القواد وعساكر الجيش يحبونه كثيراً، وقد كان يحضهم على قتل الصاحب بن عباد، فنقم عليه مؤيد الدولة هذه الأمور، وخاف من عاقبته، فأمر بالقبض عليه وحمله إلى بعض القلاع، وأخذوا منه أمواله، وعذبوه عذاباً شديدًا حيث سملوا عينيه، ثم جزوا لحيته، وجدعوا أنفه، فقال عند ذلك:

بُدّلَ من صورتي المنظرُ
لكنه ما بُدِّل المخبر

وليس إشفاقاً على هالكٍ
لكنه على من يستعبر

ووالـه القلب بما مسّني
مستخبر عني ولا يُخبر

فـــقـل لمـن سُــــرَّ بمـا ســـــاءنـى

لابُـدَّ أن يُـسلـك ذا المـعــــــبــــــر

وعندما عرضوه على أنواع العذاب وأحس بالقتل قال:

راعوا قليلاً فليس ذا الدهر عبـدَكُمُ

كـــمـــا تـظـنـون والأيـام تـنـتـــقـل

وجد على حائط مجلسه بعد قتله:

مـلـك شـــدَّ لـي عُـــرا الميـــثـــاق

بـأمــــانٍ قـــد ســـار في الآفـــاق

لـــم يـــحـــل رأيـــه ولــكـــنَّ دهـــري

حــــال عـن رأيـه فــــشــــد وثـاقـي

ومن المصادفات العجيبة أن أبا الفتح هذا قد أغرم قبل زوال دولته، وتنكر الخليفة له بترديد بيتين لا يجفُّ لسانه منهما:

مـلـك الـدنـيــــا أُنـاس قــــبـلـنـا

رحـلـوا عـنـهــــــا وخلّـوهـا لـنـا

ونـزلـنـاهـا كـــمــــا قـــد نـزلـوا

وتـخـلّـيـــهـــا لـقـــومٍ غـــيـــرنـا

ويقول بعضهم في بني العميد:

مــررت على ديار بـنـي الـعـــمـــيـــد

فـأ لـفـيـت الـسـعـادة في خــمــود

فـــقـل للشـــامت البـــاغي رويداً

فـــإنك لم تبـــشـــر بـالخلود

مصادر ترجمته وأخباره:

معجم الأدباء: (١٤ / ١٩١ ـ ٢٤٠).

يتيمة الدهر: (٣ / ١٨١ ـ ١٨٨).

الأعلام: (٤ / ٣٢٥).

ابن المُسْلِمة

(٣٩٧ ـ ٤٥٠ هـ)

هو أبوالقاسم علي بن الحسن بن أبي الفرج أحمد، من خيار الوزراء وأفاضلهم، اجتمع فيه من الآلات ما لم يجتمع في أحد قبله، مع سداد مذهب، وحسن اعتقاد، ووفرة عقل، وأصالة رأي.

وكان عزيزًا جدًا على القائم بأمر الله العباسي، ثم استوزره، ولقبه (جمال الدين، شرف الوزراء، رئيس الرؤساء) وظل في وزارته هذه اثنتي عشرة سنة وشهراً، حتى كانت فتنة البساسيري على بغداد، وكان شديد البغض له، لأمور حدثت بينهما، فيقال: إنه أخرج وعليه عباءة وطُرطور وفي رقبته مخنقة جلود، وهو يقرأ: ﴿ قل اللهم مالك الملك...﴾ ويرددها، وطيف به على جمل، ثم خيط عليه جلد ثور بقرنين، وعُلِّق في فيه كلُّوبان ثم تلف في آخر النهار. وكان آخر كلامه: الحمد لله الذي أحياني سعيدًا، وأماتني شهيداً، فسبحان من بيده ملكوت كل شيء، يهب ملكه من يشاء، ويمنعه من يشاء.

مصادر ترجمته وأخباره:

البدايه والنهايه: (١٢ / ٧٨ ـ ٧٩).

تاريخ بغداد: (١١ / ٣٩١ ـ ٣٩٢).

سير أعلام النبلاء: (١٨ / ٢١٦ ـ ٢١٨).

العبر في خبر من غبر: (٣ / ٢٢٣).

الكامل في التاريخ: (٩ / ٥٣٠، ٦٤٣، ٦٤٤)

ابن يُونس

(... ـ ٥٩٣هـ)

هو عبيدالله بن يونس بن أحمد الأزَجي البغدادي جلال الدين أبو المظفر، وزير من أهل بغداد رحل في طلب العلم إلى همذان، وصنف وعنى بالحديث والفرائض والحساب والجبر وسمع ممن لا يحصى.

استوزره الخليفة الناصر لدين الله، ثم أرسله على رأس جيش لمحاربة السلطان طغرل بن أرسلان، فتفرق عسكره، وعندما انهزم الجيش ظلَّ ثابتًا قائمًا معه المصحف والسيف، وعندما أسر في المعركة أخذوا ما معه من سلاح ودواب وغير ذلك، ثم هرب إلى الموصل، وعاد إلى بغداد متسترًا، وظهر فولاه الخليفة أمر الخزانة والديوان، وصار كالنائب في الوزارة، ثم اعتقله الخليفة وكتب العلماء فيه فتاوى تنص على أنه سبب هزيمة العسكر، وذكروا أشياء فأفتى العلماء بإباحة دمه، فسلم إلى الوزير ابن القصاب واعتقله في بيت السلاح وأخرج منه ميتًا.

وقال ابن شهبة في تاريخ الإسلام ـ نقلاً عن الشذرات ـ بعد أن أثنى عليه: غير أنه شان فضيلته برأيه الفاسد وأفعاله السيئة، فإنه خرب بيت الشيخ عبدالقادر الكيلاني، وشتت أولاده، ويقال: إنه بعث في الليل من نبش قبر الشيخ عبدالقادر الكيلاني، ورمى عظامه في اللُّجَّة، وقال: هذا وقف ما يحلُّ أن يدفن فيه أحد.

ويقال: إنه عندما عادت عساكر بغداد منهزمة، قال بعض الشعراء:

اتركونا من جائحات الجريمة
طلعة تكون وخيمة

بركات الوزير قد شملتنا
فلهذا أمورنا مستقيمة

خرجت جندنا تريد خراسا
ن جميعًا بأبّهات عظيمة

بخيول وعدةٍ وعديدٍ
وسيوف مجرّبات قديمة

ووزيرٍ وطاق طُنبٍ ونَفْشٍ
وخيول معدةٍ للهزيمة

هم رأوا عزة العدو قد أقـ
ـبل ولّوا وانحل عقد العزيمة

وأتونا ولا بخفي حنين
بوجوهٍ سودٍ قباح دميمة

مصادر ترجمته وأخباره:

الكامل في التاريخ لابن الأثير: (١٢ / ٢٤ ـ ٢٦).

شذرات الذهب: (٦ / ٥١٣ ـ ٥١٤).

العبر في خبر من غبر: (٤ / ٢٨١ ـ ٢٨٢).

الأعلام: (٤ / ١٩٨).

أسعد مماتي

(٥٤٤ ـ ٦٠٦ هـ)

أسعد مماتي أديب أريب، ووزير كبير، تولى منصب الوزارة في مصر، وتصدّر في أهم دواوينها وهما ديوانا الجيش والمال، صحب القاضي الفاضل عبدالرحيم بن علي البيساني، وصنف له عدة تصانيف باسمه، وعندما تولى الملك العادل أبوبكر بن أيوب الديار المصرية كان له وزير يدعى ابن شُكْر، وكان في نفسه حقد قديم على المترجم له، فأخذ في تدبير المؤامرات والمكايد، وألزمه أموالاً عظيمة، وطالبه بدفعها، وقد لقي ذلاً عظيمًا يقول:

«عُلِّقت في المطالبة على باب داري بمصر على ظهر الطريق في يوم واحدٍ إحدى عشرة مرّة ، فلما رأوا أنني لا وجه لي، قيل لي: تحيّل، ونجم هذا المال عليك في نجوم، فقلت: أما المال فلا وجه له عندي، ولكن إن أطلقت وملكت نفسي، استجديت من الناس، وسألت من يخافني ويرجوني، فلعلي أحصل من هذا الوجه، فأما من وجه حاصل فليس لي بعدما أخذتموه مني درهم واحد».

ثم ضاقت عليه الدنيا بما رحبت، وأختفى في مقبرة تسمى مقبرة الماذرائيين لمدة عامٍ كامل، ثم عزم على الهرب إلى الشام، وعندما كان في الطريق لحقه لاحق ، وأعطاه مكتوبًا، فإذا هو من الوزير ابن شُكْر، يقول فيه: «لا تحسب أن اختفاءك عني كان بحيث لا أدري أين أنت؟ ولا أين مكانك؟ فاعلم أن أخبارك كانت تأتيني يومًا يومًا، وأنك كنت في قبور الماذرائيين بالقرافة، منذ يوم كذا، وأنني اجتزت هناك، واطلعت فرأيتك بعيني، وأنك لما خرجت هاربًا عرفت خبرك، ولو أردت ردّك لفعلت، ولو علمت أنك قد بقي

لك مال أو حال لما تركتك، ولم يكن ذنبك عندي مما يبلغ أن أتلف معه نفسك، وإنما كان مقصودي: أن أدعك تعيش خائفًا فقيرًا غريبًا ممجّجًا في البلاد، فلا تظن أنك هربت مني بمكيدة صحّت لك عليّ، فاذهب إلى غير دَعَة الله، وتركني القاصد وعاد، فبقيت مبهوتًا إلى أن وصلت إلى حلب».

وحينما قدم حلب مطروح القدر، مستبرد النظم والنثر، وعلم به الملك الظاهر غازي بن صلاح الدين أجرى عليه دراهم معدودة، ليتقوى بها على معيشته، ويصدق على حال أسعد مماتي. ذلك الوزير الكبير ـ ما قاله معن بن أوس:

بلوتُ الناسَ قرنًا بعدَ قرنٍ
فلم أرَ غيرَ ختّالٍ وقالي

وذقتُ مرارةَ الأشياءِ طُرًا
فما شيء أمرَّ من السؤالِ

ولم أرَ في الخطوبِ أشدَّ وقعاً
وأصعب من مُعاداةِ الرجال[1]

مصادر ترجمته وأخباره:

سير أعلام النبلاء: (٢١ / ٤٨٥ ـ ٤٨٦).

وفيات الأعيان: (١ / ٨٤ ـ ٨٦).

معجم الأدباء: (٦ / ١٠٠ ـ ١٢٦).

البدايه والنهايه: (١٣ / ٥٣).

إنباه الرواة: (١ / ٢٦٦ ـ ٢٦٩).

حسن المحاضرة للسيوطي: (١ / ٥٥٦).

شذرات الذهب: (٥ / ١٩، ٢٠).

خريدة القصر، قسم شعراء مصر: (١ / ١٠٠).

بغية الطلب في تاريخ حلب: (٤ / ١٥٦١،١٥٦٥).

كشف الظنون: (٧٧٦، ١٠١٥، ١٢١٥).

الأعلام: (١ / ٣٠٢).

معجم المؤلفين: (٢ / ٢٤٩ ـ ٢٥٠).

(١) الشوارد: (٢ / ٤٢٠).

الوزير ابن العلقمي الرافضي

(٥٩٣ ـ ٦٥٦هـ)

هو وزير كبير، وكذاب مبير، كما وصفه الإمام الذهبي عليه ـ رحمة الله وغفرانه ـ، واسمه محمد بن محمد بن علي ـ مؤيد الدين الأسدي البغدادي، ويكنى بأبي طالب.

وما زال يتقلب في المناصب حتى وصل إلى رتبة الوزارة، حيث تولى وزارة الخليفة العباسي المستعصم لمدة أربعة عشر عامًا، وقد أهلته لهذه الوزارة صفات عدة، كالحزم والخبرة والمعرفة، بسياسة الملك، إضافة إلى فصاحته وقدرته على الإنشاء، حيث اشتملت خزانة كتبه على آلاف المجلدات، وحصل له من التعظيم والوجاهة في أيام الخليفة المستعصم الشيء الكثير، الذي لم يحصل لغيره من الوزراء، حتى إن الخليفة المستعصم وثق به، وألقى إليه زمام الأمور، ورغم هذا فلم يكن أهلاً للنعمة، ولا محلاً للرفعة، فهو صاحب جريمة نكراء، جرت على الإسلام والمسلمين دمارًا عظيمًا، فليس مؤيد الدين، بل حانق على الدين وأهله، وإليك خبر هذه الجريمة العظيمة على لسان الإمام الذهبي حيث يقول:

«وكانت دولته أربع عشرة سنة، فأفشى الرفض فعارضته السنة، وأكبت فتنمر، ورأى أن هولاكو على قصد العراق، فكاتبه وحسَّره، وقوى عزمه على قصد العراق ، ليتخذ عنده يدًا، وليتمكن من أغراضه، وحفر للأمة قليبًا، فأوقع فيه قريبًا، وذاق الهوان، وبقي يركب كديشًا وحده، بعد أن كانت ركبته تضاهي موكب السلطان، فمات غبنًا وغمًا، وفي الآخرة أشد خزيًا وأشد تنكيلاً».

ويقـال: إنه حـينمـا كـان في الـذل والهـوان رأته امـرأة وهو راكب بـرذوناً، وسائق يسوق به ويضـرب فرسـه فوقفت إلى جانبـه، وقالت له: يا ابن العلقـمي، هكذا كان بنو العباس يعاملونك؟ فوقعت كلمتها في قلبـه، وانقطع في داره إلى أن مات، وكان كثيرًا ما يقول:

وجرى القضاء بعكس ما أمّلته.

مصادر ترجمته وأخباره:

البدايه والنهايه: (١٣ / ٢١٢ ـ ٢١٣).

سير أعلام النبلاء: (٢٣ / ٣٦١ ـ ٣٦٢).

الوافي بالوفيات: (١ / ١٨٤ ـ ١٨٦).

العبر في خبر من غبر: (٥ / ٢٣٥ ـ ٢٣٦).

شذرات الذهب: (٧ / ٤٧٠).

تاريخ الخلفاء للسيوطى: (ص: ٤٦٥، ٤٦٦، ٤٦٧، ٤٧١، ٤٧٢، ٤٧٣).

فوات الوفيات: (٣ / ٢٥٢ ـ ٢٥٥).

لسان الدين ابن الخطيب

(٧١٣ ـ ٧٧٦هـ)

هو علم لا يعرف، ومعرفة لا تنكر، وزير شهير، وأديب كبير، وعاقل أريب، كان يلقب بذي الوزارتين القلم والسيف، ويقال له أيضًا: ذو العمرين لاشتغاله بالتصنيف في الليل ، وتدبير المملكة في النهار، وكان أسلافه يعرفون ببني الوزير.

وهو أبوعبدالله محمد بن عبدالله بن سعيد السلماني.

ولد في غرناطة ونشأ بها، وتعلم علومًا عدة، وتقلبت به الأيام، فاستوزره السلطان أبوالحجاج يوسف بن إسماعيل، ثم ابنه الغني بالله، ثم كاتب السلطان عبدالعزيز بن علي المريني، حيث رحل إليه، واستقدم أهله وولده، ثم حدثت أمور عدة كانت نهاية لسان الدين ابن الخطيب فيها.

وهو أن صاحب غرناطة «الغني بالله» ساعد المستنصر أحمد بن إبراهيم على الاستيلاء على المغرب، واشترط عليه شروطًا منها تسليمه ابن الخطيب، وفعلاً سلمه إياه، وقبض عليه وعذب، وكان من الساعين به أحد تلاميذه المقربين إليه وهو أبو زَمْرَك.

وفي شرح هذه الحادثة، يقول المقري التلمساني في نفح الطيب: «واعلم أن لسان الدين لما كانت الأيام له سالمة لم يقدر أحدٌ أن يواجهه بما يُدنس معاليه، أو يطمس معالمه، فلما قلبت الأيام له ظهر مجنها، وعاملته بمنعها بعد منحها ومنها، أكثر أعداؤه في شأنه الكلام، ونسبوه إلى الزندقة والانحلال من

ربقة الإسلام بتنقص النبي عليه أفضل الصلاة والسلام، والقول بالحلول والاتحاد، والانخراط في سلك أهل الإلحاد، وسلوك مذاهب الفلاسفة في الاعتقاد،..... وكان الذي تولى كبر محنته وقتله تلميذه أبوعبدالله بن زمرك».

ثم عُقد مجلس لمحاكمته، وأفتى بعض الفقهاء بقتله، ثم أودع في السجن وقتل خنقًا، ومما قاله في أيام محنته وهو في السجن:

بعدنا وإن جاورتنا البيوت

وجئنا بوعظ ونحن صموت

وأنفسنا سكنت دفعة

كجهر الصلاة تلاها القنوت

وكنا عظامًا فصرنا عظامًا

وكنا نقوت فها نحن قوت

وكنا شموس سماء العُلى

غربن فناحت علينا السُّموت

فكم جدَّلت ذا الحُسام الظُّبا

وذو البغت كم جدّلته البُخوت

وكم سيق للقبر في خِرقة

فتى ملئت من كساه التخوت

فقل للعدا ذهب ابن الخطيب

وفات ومن ذا الذي لا يفوت

ومـن كـــــان يفـــــرح منـهـم بـه
فـــقـل يـفـــرحُ الـيـــوم من لا يـموت

ولم يفلح السـاعي به تلميـذه ابن زمـرك، بل لقي جـزاء عـمله، ﴿**ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلاَّمٍ لِّلْعَبِيدِ**﴾.

وسترى هذا حينما تمر بك ترجمته.

مصادر ترجمته وأخباره:

شذرات الذهب: (٨ / ٤٢٢ ـ ٤٢٦).

الدرر الكامنة: (٤ / ٨٨ ـ ٩٣).

نفح الطيب.

الأعلام: (٦ / ٢٣٥).

ابن زَمْرَك

(٧٣٣ ـ ٧٩٩٥هـ)

أبو عبدالله محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد الصريحي المعروف بابن زمرك شاعر كبير ووزير عظيم، من أشهر تلاميذ الوزير الشهير لسان الدين ابن الخطيب، وصفه ابن الخطيب بقوله: «كان من صدور الطلبة والنجباء شعلة في الذكاء، يساعده ظاهر ثاقب الذهن جيد الفهم »

وما زال يتعلم وينهل من معين المعرفة حتى نبغ في علوم عدة، وأخذ يترقى في الأعمال الكتابية حتى جعله صاحب غرناطة «الغني بالله» كاتم سره، وكان ذلك سنة (٧٧٣هـ) ثم جعله صاحب رسالته وحجابته، ولم تدم هذه النعمة طويلاً فهو الساعي في أستاذه وشيخه لسان الدين ابن الخطيب حتى قتل خنقاً، فأمهله الله ولم يهمله، وجعل جزاءه من جنس عمله حيث قتل بين أهله وذويه وفي داره وهو رافع المصحف.

ويقول في شرح هذا المقري التلمساني في نفح الطيب (٥ / ٥٠):

«هو من تلامذة لسان الدين ومن عداد خدامه، فحين نبا به الزمان، وتعوض الخوف بعد الأمان، كان أحد الساعين في قتله،.... وصرح بذمه وهجوه، بعد أن كان ممن يشكره، وهكذا عادة بني الدنيا يدورون معها حيث دارت، ويسيرون حيث سارت، ويشربون من الكأس التي أدارت، وقد تولى المذكور الوزارة عوضًا عن ابن الخطيب، وصدح طيرُ عزه بعده على فنن من الإقبال رطيب، ثم آل الأمر به إلى القتل، كما سعى في قتل لسان الدين، وكان الجزاء من جنس عمله، والمرء يُدان بما كان به يدين» أهـ.

مصادر ترجمته وأخباره:

نفح الطيب: (٧ / ١٤٥ ـ ٢٦٦).

الدرر الكامنة: (٥ / ٧٨ ـ ٧٩).

الأعلام (٧ / ١٥٤).

العلماء

ابن شَنَبوذ

(... ـ ٣٢٨هـ)

من مشاهير القراء وكبارهم، ومن أعيان أعلام القراء في بغداد، وصف بالدين، وسلامة الصدر، وقيل عنه: فيه حمق، وقد انفرد بشواذ كان يقرأ بها في المحراب، ومن هذه الشواذ: «وكان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصبًا» و «وتبّت يدا أبي لهب وقد تب» و «تكون الجبال كالصوف المنفوش» و «فامضوا إلى ذكر الله» في سورة الجمعه، وصنف في ذلك كتبًا منها: «اختلاف القراء» و «شواذ القراءات» ، وعندما علم الوزير ابن مقلة بأمره أحضره وأحضر بعض القراء فناظروه، فنسبهم إلى الجهل وأغلظ للوزير، وحينما ناظروه وأنكر، أشار جميع من حضر المجلس بعقوبته، فأمر بتجريده وإقامته بين الخبّازين، وأمر بضربه بالدرة على قفاه نحو العشرة ضربًا شديدًا، فاستغاث وأذعن بالتوبة، فخلى عنه واستتيب غصبًا ثم كتب عليه كتابًا وأخذ فيه خطه، ونفاه إلى المدائن وقال بعض العلماء: إن فعله هذا كان نابعًا عن اجتهاد منه.

ويقال: إنه دعا على ابن مقلة بقطع اليد وتشييت الشمل، وهو يضربه فاستجيب له.

ويقول الإمام العالم العامل ابن كثير ـ عليه رحمة الله وغفرانه ـ: «وقد دعا على الوزير ابن مقلة حين أمر بضربه، فلم يفلح ابن مقلة بعدها، بل عوقب بأنواع العقوبات، وقطعت يده ولسانه، وحبس حتى مات في السنة التي مات فيها ابن شنبوذ».

وأما ابن شنبوذ فيقال: إنه توفي في بغداد، ومنهم من يقول: مات في محبسه بدار السطان.

مصادر ترجمته وأخباره:

وفيات الأعيان لابن خلكان: (٤ / ٢٩٩ ـ ٣٠١).

معجم الأدباء: (١٧ / ١٦٧ ـ ١٧٣).

تاريخ بغداد: (١ / ٢٨٠ ـ ٢٨١).

الكامل: (٨ / ٣٦٤).

شذرات الذهب: (٤ / ١٤٨ ـ ١٥٠).

العبر في خبر من غبر: (٢ / ٢١٩).

سير أعلام النبلاء: (١٥ / ٢٦٤ ـ ٢٦٦).

البدايه والنهايه: (١١ / ١٩٤ ـ ١٩٥).

المنتظم في تاريخ الملوك والأمم: (١٣ / ٣٩٢ ـ ٣٩٣).

الوافي بالوفيات: (٢ / ٣٧ ـ ٣٨).

الأعلام: (٥ / ٣٠٩).

المَيَانَجيُّ

(ت ٥٢٥هـ)

هو عبدالله بن محمد بن علي بن الحسن أبوالمعالي، قاضٍ متكلم شاعر، عالم بفقه الشافعية من تلاميذ الغزالي، وكان يضرب به المثل في الذكاء، كما أنه كان أيضًا شاعرًا مفلقاً رقيق الحاشية والشعر، له رسالة كتبها إلى أصحابه وإخوانه بهمذان لو قرئت على الصخور لانصدعت من الرقة والسلاسة وفيها هذا البيت:

أسجناً وقيداً واشتياقاً وغربة

ونأي حبيب إن ذا لعظيم

ويقال: إنه دخل في دقائق التصوف ومعاني إشارات القوم، فكان الناس يعتقدونه، ويتبركون به، وكان العزيز يعتقد فيه اعتقاداً خارجًا عن الحد، فلما نكب العزيز قصده الوزير، وكتب عليه محضرًا، والتقط من أثناء تصانيفه ألفاظًا شنيعة، فكتب جماعة من العلماء خطوطهم بإباحة دمه، وقال السبكى: التقط من أثناء تصانيفه تشنيعة ينبو عنها السمع، ولما قرب قتله، وقدّم إلى الخشبة ليصلب قال: «وسيعلم الذين ظلموا أيَّ منقلب ينقلبون».

مصادر ترجمته وأخباره:

العبر في خبر من غبر: (٤ / ٦٥).

شذرات الذهب: (٦ / ١٢٤).

طبقات السبكي: (٧ / ١٢٨ ـ ١٣٠).

الأعلام: (٤ / ١٢٣).

الأدباء

أبو حيّان التوحيدي

(... نحو ٤٠٠هـ)

هو علي بن محمد بن العباس التوحيدي، أبوحيّان، فيلسوف متصوف معتزلي، كان إمامًا في النحو واللغة والتصوف فقيهًا مؤرخًا، وعُدَّ من زنادقة الإسلام، وصفه الإمام الذهبي عليه رحمة الله في سير أعلام النبلاء بقوله: «الضال الملحد، البغدادي الصوفي، صاحب التصانيف الأدبية والفلسفية»، ولد في شيراز وأقام مدة في بغداد، ثم انتقل إلى الريّ، فصحب ابن العميد والصاحب ابن عبّاد، فلم يحمد ولاءهما، ووشي به إلى الوزير المهلبي فطلبه، وكان طلبهم له لما كان يدغله ويخفيه من سوء الاعتقاد، فطلبه ليقتله فهرب إلى أعدائه، ونفق عليهم بزخرفه، ثم عثروا منه على سوء عقيدته، وما يبطنه من الإلحاد، ويضيفه إلى الصحابة والسلف الصالح من القبائح، ويقال: إنه استتر من الوزير المهلبي ومات في استتاره عن نيف وثمانين عامًا.

وفي بغيه الوعاة نقلاً عن الزركلي أنه لما انقلبت به الأيام رأى كتبه لم تنفعه وضنّ بها على من لا يعرف قدرها، فجمعها وأحرقها، فلم يسلم منها غير ما نقل قبل الإحراق.

مصادر ترجمته وأخباره:

معجم الأدباء: (١٥ / ٥ ـ ٥٢).

سير أعلام النبلاء: (١٧ / ١١٩ ـ ١٢٣).

طبقات الشافعية: (٥ / ٢٨٦ ـ ٢٨٩).

الأعلام: (٤ / ٣٢٦).

أبو الفتح البُستي

(... ـ ٤٠٠هـ)

أبوالفتح عليّ بن محمد بن الحسين بن يوسف بن محمد بن عبدالعزيز البُستي، من شعراء عصره وكتابه، وهو من كتاب الدولة السامانية في خراسان، وإليه تنسب القصيدة الرنانة المسماة (عنوان الحكم) وفيها يقول:

زيادة المرء في دنياه نقصان
وربحه غيرَ محض الخير خسران

وكل وجدانٍ حظٌ لا ثبات له
فإن معناه في التحقيق فقدان

وهو القائل:

لئن صدع الدهر المشتت شملنا
فللدهر حكم في الجموع صدوع

وللنجم من بعد الرجوع استقامة
وللشمس من بعد الغروب طلوع

وإن نعمة زالت عن الحب وانقضت
فإن لها بعد الزوال رجوع

وكن واثقًا بالله واصبر لحكمه
فإن زوال الشر عنك سريع

ولعله كان يتنبأ بنهايته، فقد كانت له مكانة عالية عند الأمير سبكتكين وخدم ابنه يمين الدولة محمود بن سبكتكين، فتغير عليه، ثم أخرجه من بلاده إلى بلاد ما وراء النهر، فمات هناك غريبًا وله عندما تغير السلطان عليه شعر يقول فيه:

من كان يرجو عفو من هو فوقه

عن ذنبه فليعفُ عمن دونه

مصادر ترجمته وأخباره:

وفيات الأعيان: (٣ / ٣٧٦ ـ ٣٧٨).

البدايه والنهايه: (١١ / ٢٧٨).

المنتظم في تاريخ الملوك والأمم: (١٤ / ٢٣١ ـ ٢٣٣).

يتيمة الدهر: (١ / ٤٢٩ ـ ٤٣٠).

طبقات الشافعية: (٥ / ٢٩٣ ـ ٢٩٦).

شذرات الذهب: (٤ / ٥٢٤ ـ ٥٢٦).

المعُموري

(... ـ ٤٨٥هـ)

أديب من المشتغلين بالفلسفة، وهو من علية حكماء زمانه، ومن أكابر الأئمة، اسمه محمد بن أحمد المعموري البيهقي، وقد ألقت العلوم إليه بأطراف الأزمة، صنف كتابًا في (المخروطات والهندسة)، وقال العلماء الذين نظروا فيه ما سبقه إليه أحد، وقد كتب كتبًا في العربية والأدب، ولد في بيهق وانتقل إلى أصبهان، وعمل في خدمة تاج الملوك الذي كان وزيرًا بعد نظام الملك، وتحكي الكتب التي ترجمت له أنه نظر في زيجه، والزيج هو كتاب تعرف به أحوال الكواكب، وما يتفاءل به في السعد والنحس بطلوع الكواكب، فرأى فيه ما يدل على الخوف والوجل فأغلق باب داره عليه، ثم أخرج من داره وقتل وأحرق على سبيل الغلط.

دع النجومَ لطِرقيٍّ يعيشُ بها
وانهض بعزمٍ صحيح أيُّها الملكُ

إن النبيَّ وأصحابَ النبى نهوا
عن النجوم وقد عاينتَ ما ملكوا[1]

مصادر ترجمته وأخباره:

معجم الأدباء: (١٧ / ٢٢٥ ـ ٢٢٦).

الوافي بالوفيات: (٢ / ٧٥).

الأعلام: (٥ / ٣١٦).

(١) الشوارد لابن خميس: (٢ / ٣٨٩).

الحسن الفارقي

(... ـ ٤٨٧هـ)

أبو نصر الحسن بن أسد بن الحسن الفارقي، أديب كبير، له معرفة كلام العرب، وكان له سهم نافذ في الشعر والنثر وصفه القفطي بقوله: «معدن الأدب، ومنبع كلام العرب، فاضل مكانه، وعلامة زمانه، له النثر الرائع، والنظم الذائع» أهـ.

وكان متولياً لديوان آمد جابيًا لأموالها، وهي من أعظم الديار وأجلها قدرًا وأشهرها ذكرًا كما وصفها ياقوت الحموي بذلك، ولكن سروره لم يدم، فقد عثرت به دنياه، ودنبا به دهره، ولهذا سبب وهو أنه كان متوليًا لديوان آمد ثم أساء التدبير فيه، فحاكمه السلطان ملكشاه واعتقله، ثم شُفع فيه فأطلق، وانتقل بعد ذلك إلى ميّافارقين، واجتمع أهلها إليه وطلبوا منه إسقاط واليها أحمد بن مروان وأن يؤمروه عليهم، وعندما علم ابن مروان حاصر المدينة، وأخذ ابن أسد وأمر بقتله، فشفع فيه الشاعر الغساني لسابقة لابن أسد عليه، وأطلق، ولكن الأيام لم تطل به.

ويقول في ذلك ياقوت الحموي: «وأقام ابن أسد مدة ساءت حاله، وجفاه إخوانه، وعاداه أعوانه، ولم يقدم أحدٌ على مقاربته ولا مرافقته حتى أضرَّ به العيش، فعمل قصيدة مدح بها ابن مروان، وتوصّل حتى وصلت إليه، فلما وقف ابن مروان عليها غضب، وقال: ما يكفيه أن يخلص منا رأسًا برأس حتى يريد منا الرِّفد والمعيشة، لقد أذكرني بنفسه، فاذهبوا به فأصلبوه فذهبوا به فصلبوه رحمه الله».

ومن عجيب أمره أنه عندما نوى المسير إلى حلب قال أبياتًا متطيرًا بها، فكانت عليه:

لو أنَّ قلبك لما قـــيل قـــد بانوا

يوم النوى صـخـرة صـمـاء صـّوان

لعـيل صـبـرك مـغلوباً ونمّ بما

أخـفـيـتـه مـدمع للسـر صـّوان

زجـرت أشـيـاء في أشـيـاء تشبـهـها

إذ بينهن رضـاعـات وألبـان

واستحلبت حلبٌ جـفنيّ فـانحلبا

وبـشـرتني بحـر القـتل حـرّانُ

فالجفن من حَلَبٍ ما انفك من حلبٍ

والقلب بعـدك من حـرّانَ حـرانُ

مصادر ترجمته وأخباره:

سير أعلام النبلاء: (١٩ ـ ٨٠).

معجم الأدباء: (٨ / ٥٤ ـ ٧٥).

إنباه الرواة: (١ / ٢٢٩ ـ ٢٣٣)

شذرات الذهب: (٥ / ٣٧٢ ـ ٣٧٣).

فوات الوفيات: (١١ / ٤٠١ ـ ٤٠٤).

خريدة القصر ـ قسم شعراء الشام: (٤ / ١٩٨ ـ ٢٠٠).

يتيمة الدهر: (٤ / ٤٤١).

العبر في خبر من غبر: (٣ / ٣١٦).

بغية الطلب في تاريخ حلب: (٢٢٩٩ ـ ٢٣٠٢).

معجم المؤلفين: (٣ / ٢٠٦).

كشف الظنون: (١٥٦٣).

ابن حَمدون

(٤٩٥ ـ ٥٦٢هـ)

هو محمد بن الحسن بن محمد بن علي بن حمدون، أبوالمعالي بهاء الدين البغدادي، عالمٌ بالأدب والأخبار من أهل بغداد، كان كريم الأخلاق حسن العشرة، من بيت مشهور بالرياسة والفضل، صنف التذكرة في الأدب والتاريخ والنوادر، وهو كتاب كبير يدخل في اثني عشر مجلدًا، وتعرف بتذكرة ابن حمدون، واختص بالمستنجد العباسي، ونادمه فولاه (ديوان الزمان) ولقبه (كافي الكفاة) ثم وقف المستنجد على حكايات لابن حمدون رواها في التذكرة، توهم غضاضة في الدولة فقبض عليه.

قال ابن قاضي شهبة نقلاً عن الأعلام: وأخذ من دست منصبه وحبس، ولم يزل محبوسًا إلى أن توفي، ودفن بمقابر قريش.

مصادر ترجمته وأخباره:

الوافي بالوفيات: (٢ / ٣٥٧)

فوات الوفيات: (٣ / ٣٢٣ ـ ٣٢٤).

وفيات الأعيان: (٤ / ٣٨٠ ـ ٣٨٢).

شذرات الذهب: (٦ / ٣٤٢)

المنتظم في تاريخ الملوك والأمم: (١٨ / ١٧٥)

البدايه والنهايه: (١٢ / ٢٥٣)

الأعلام: (٦ / ٨٥).

الشعراء

لقيط بن يَعْمَر

(... نحو ٢٥٠ ق هـ)

شاعر جاهلي قديم مقل، وهو فحل من فحول الشعراء، واسمه لقيط بن يعمر بن خارجة الإيادي، وينتمي إلى أهل الحيرة، كان يحسن الفارسية، واتصل بكسرى (سابور) ذي الأكتاف، فعينه كاتبًا عنده، وكان من المطلعين على أسرار دولته، ومن مقدمي مترجميه، وهو صاحب قصيدة مشهورة أرسلها إلى قومه محذرًا لهم من غزو كسرى لهم، وهي من أجود ما قيل في الحرب، ويقول في مطلعها:

يادار عمرة من محتلها الجرعا

هاجت لي الهمَّ والأحزان والوجعا

ويحذر قومه من غزو كسرى قائلاً لهم:

أبلغْ إياداً وخلِّلْ في سراتهمُ

أنِّي أرى الرأي إن لم يُعْص قد نَصعَا

يالهْفَ نفسيَ إنْ كانَتْ أمورُكمُ

شَتَّى وأُحْكِمَ أمرُ الناسِ فاجتمعَا

مالي أراكمْ نِيامًا في بُلهْنِيَةٍ

وقد ترَونْ شهابَ الحربِ قد سَطَعا

فاشْفُوا غليلي برأيٍ منكُمُ حَصِدٍ

يصبحْ فؤادي به ريّان قد نقعا

صُونُوا جِيادكُمُ واجْلوا سيوفَكُمُ
وجددِّوا للقِسيِّ النَّبْلَ والشُّرُعا

لا تُثْمِروا المالَ للأعداءِ إنَّهُمُ
إن يظْهروا يحتووكم والتِّلاد مَعَا

يا قومُ إنَّ لكمْ من إرثِ أوّلكمْ
مَجْداً أُحاذِرُ أن يَفْنَى وينقطعِا

ماذا يردُّ عليكم عِزُّ أوّلكم
إن ضاعَ آخرُه أو ذَلَّ واتَّضَعَا

يا قومُ لا تأمنُوا إن كنتُمُ غيُراً
على نسائكُمُ كسرى وما جَمَعَا

هو الفناءُ الذي يجتثُّ أصلكُمُ
فمن رأى مثل ذا رأياً ومنْ سمِعا؟

قوموا قياماً على أمشاط أرجلكم
ثم افزعوا قد ينال الأمن من فزعا

وقلدوا أمركم، لله درُّكُمُ
رحْبَ الذّراعِ بأمر الحربِ مضطلعَا

هذا كتابي إليكمْ والنذيرُ معاً
لمن رأى رأيَهُ منكُمْ ومن سَمِعا

وقد بذلتُ لكمُ نُصحي بلا دخَلٍ
فاستيقظوا إنَّ خيرَ العلِمِ ما نَفعَا

وسبب غزو كسرى لهم أن إياداً اغاروا على أموال لأنو شروان فأخذوها، فجهز إليهم الجيوش، فهزموهم مرة، ثم مرة، ثم ارتحلوا فنزلوا الجزيرة، فوجه إليهم كسرى ستين ألفاً من الجنود المسلحين، وحينما علم لقيط كتب هذه القصيدة وبعث بها إلى قومه (بني إياد) يحذرهم وينذرهم من كسرى، ويعلمهم أنه وجه إليهم جيشًا لغزوهم وإبادتهم، وحدث أن سقطت هذه القصيدة في يد أوصلتها إلى كسرى، فاغتاظ منه غيظاً شديدًا، ونقم منه، فأمر به فأخذ وقطع لسانه، ثم قتله.

ورغم أن لقيطاً لم يفعل إلا ما تمليه عليه الإنسانية والشفقة والعطف على قومه، من أن يصبحهم كسرى بجيش مدجج بكماة الفرسان، إلا أن لسانه الذي جاد بهذه القصيدة وهي من غرر الشعر وجواهره، كان سبب حتفه وتذكرني هذه الحادثة بذلك المثل الذي يقول: ربّ كلمة تقول لصاحبها دعني، وبقول الشاعر:

إن كنتَ تعلمُ ما تأتي وما تذرُ
فكن على حذرٍ قد ينفعُ الحذرُ

واصبر على القدر المقدور وارض به
وإن أتاك بما لا تشتهي القدرُ

مصادر ترجمته وأخباره:

تاريخ ابن الأثير: (١ / ٣٩٣ ، ٤ / ٤٤١).

تاريخ اليعقوبي: (١ / ٢٢٦).

الأغاني: (٢٠ / ٢٣ ـ ٢٤).

الشعر والشعراء: (ص ١١٧ ـ ١١٨).

الأعلام: (٥ / ٢٤٤).

عبد يَغُوث

(... ـ نحو ٤٠ ق هـ)

هو عبد يغوث بن صُلاءة بن ربيعة، من بني الحارث بن كعب، من قحطان، كان شاعرًا من شعراء الجاهلية، وفارسًا سيدًا لقومه من بني الحارث، وكان قائدهم في يوم الكلاب الثاني إلى بني تميم، وفي ذلك اليوم أسر فقتل.

وعندما أسر أخذه فتى من بني عمير بن عبد شمس وكان أهوجًا، فانطلق به إلى أهله، فقالت له أمه، ورأت عبد يغوث عظيمًا جميلاً: من أنت؟ قال: أنا سيد القوم، فضحكت، وقالت: قبحك الله من سيد قوم حين أسرك هذا الأهوج، فقال عبد يغوث:

وتضحك مني شيخة عبشمية

كأن لم تر قبلي أسيرًا يمانياً

وقال لهم: يا بني تيم، اقتلوني قتلة كريمة. فقالوا له: وما تلك القتلة؟ قال: اسقوني الخمر، ودعوني أنح على نفسي.

فسقوه الخمر، ثم قطعوا عرقاً له يسمى الأكحل، ثم تركوه ينزف دمًا ومضوا عنه، فانطلق يقول:

ألا لا تلوماني كفى اللوم ما بيا

فما لكما في اللوم نفع ولا ليا

ألم تعلما أن الملامة نفعها

قليل وما لومي أخي من شماليا

فياراكبًا إما عرضت فبلغاً

نداماي من نجران ألا تلاقيا

أبا كـــربٍ وألا يهـــمين كليـــهـــمـــا
وقيـسًا بأعلى حضرموت اليمانيا

إلى أن يقول مفتخرًا بنفسه:

وقـد كنت نحـار الجزور ومعـمل الـ
ـمطي وأمضي حيث لا حي ماضيا

وأنحـــر للشـــرب الكرام مطيـــتى
وأصـــدع بين القـــينتين ردائيـــا

وعـــادية ســـوم الجـــراد وزعـــتـــهـــا
بكفي وقـــد أنحـــوا إلى العـــواليـــا

كـــأني لم أركب جـــواداً ولم أقل
لخـيلي كـري نفـسي عن رجـاليـا

ولم أســـبـــأ الزق الروي ولم أقل
لأيسـار صـدق أعظمـوا ضـوء ناريا

ويقال: إنهم عندما أسروه شدوا لسانه بنسعة لئلا يهجوهم، وفي ذلك يقول:

أقـول وقـد شـدوا لسـاني بنسـعـة
أمـعـشـر تيم أطلقـوا لي لسـانيـا

مصادر ترجمته وأخباره:

الأغاني: (١٥ / ٦٩ ـ ٧٣).

البيان والتبيين: (٢ / ٣٠٠ ـ ٣٠١).

العمدة لابن رشيق: (١ / ١٩٣).

الأعلام: (٤ / ١٨٧).

عديّ بن زيد

(ت نحو ٣٥ ق هـ)

عديّ بن زيد بن حماد بن زيد العِبادي التميمي، من دهاة الجاهلية، يحسن اللغتين العربية والفارسية، وكان ترجمان كسرى ملك الفرس، وهو أول من كتب بالعربية في ديوانه، حيث جعله ترجمانًا بينه وبين العرب، وهو شاعر كبير، كان العلماء يقولون في شعره: عدي بن زيد في الشعراء بمنزلة سهيل في النجوم، يعارضها ولا يجري مجراها.

وكان لعدي بن زيد فضل كبير على النعمان بن المنذر، فهو الذي أشار على ملك فارس بأن يولي النعمان أمر العرب، بعد مقتل عمرو بن هند، فولاه أمرهم، وكان لعدي أعداء فما زالوا يوغرون صدر النعمان بن المنذر عليه حتى احتال عليه، فأقدمه وحبسه، فقال عدي في السجن أشعارًا ذائعة يستعطف النعمان بها، ومنها قوله:

ألا من مبلغ النعمان عني

وقد تهوى النصيحة بالمغيب

أحظي كان سلسلة وقيداً

وغلاً والبيان لدى الطبيب

أتاك بأنني قد طال حبسي

ولم تسأم بمسجون حريب

وبيتي مقفر إلا نساء

أرامل قد هلكن من النحيب

يبـــادرن الدمـــوع على عـــديّ

كـــشن خـــانه خـــرز الـربيب

يحـــاذرن الوشـــاة على عـــديّ

ومـــا اقـتـرفـوا عليـه من الذنوب

فـــإن أخطأت أو أوهمت أمـــراً

فـقـد تهم المصـافي بالحـبـيب

وإن أظلم فـقـد عـاقـبـتـمـوني

وإن أظلم فـذلك من نصـيـبي

وإن أهلك تجـد فـقـدي وتخـذل

إذا التـقت العـوالي في الحـروب

فـــهل لك أن تدراك مـــا لدينا

ولا تغلب على الرأي المصـــيب

فـــإني قـــد وكلت اليـــوم أمـــري

إلى رب قـــريب مـــســـتـجـــيب

ورغم هذه الأشعار الكثيرة التي يرسلها إلى النعمان بن المنذر، إلا أنه لم يلن، بل أمر بوسادة فوضعت على وجهه حتى مات.

وكان متزوجًا بهند بنت النعمان، وعندما قتله أبوها ترهبت وحبست نفسها في الدير المعروف بدير هند في ظاهر الحيرة.

ومن أشعاره الذائعة قوله:

أيهـــا الشـــامت المعـــيـــر بالـد

هـر أأنت المـبـــــرأ الموفـــــور

أم لديك العــــهـــد الوثيق من

الأيام بل أنت جــاهل مــغــرور

مــن رأيــت المــنــون خــلــدن أم مــن

ذا عليــه من أن يضــام خــفــيــر

أين كــســرى كــســرى الملوك أنوشــر

وان أم أيــن قـــــبــلــة ســـــابــور

وبنو الأصـــفـــر الكرام ملوك

الروم لم يبق منهم مـــذكـــور

وفعلاً لقد حدث ما توقعه عديّ بن زيد، فلم تخلد المنون أحدًا، ليت النعمان بن المنذر استمع إلى وعظه وموعظته، فقد قتل هو أيضًا دوسًا تحت أرجل الفيلة، كما جاء في خبر نكبته.

مصادر ترجمته وأخباره:

الأغاني: (٢ / ١٧ ـ ٣٤).

جمهرة أشعار العرب: (١ / ٤٩٧ ـ ٥٠٣).

الشعر والشعراء: (ص١٣٥ ـ ١٤٠).

طبقات فحول الشعراء: (١ / ١٤٠ ـ ١٤٢).

الكامل في التاريخ: (١ / ٤٨٣ ـ ٤٨٥).

تاريخ اليعقوبي: (١ / ٢١٢ ـ ٢١٤).

الأعلام: (٤ / ٢٢٠).

أُمّ قِرْفَة

(... ـ ٦ هـ)

هي فاطمة بنت ربيعة بن بدر الفزارية، أم قرفة، شاعرة من بني الفزاري، كان لها اثنا عشر ولدًا من زوجها مالك بن حذيفة بن بدر الفزاري، وكان يعلق في بيتها خمسون سيفًا لخمسين رجلاً كلهم من محارمها، وهي من ربات النفوذ والسلطان في قومها، بلغت من عز الجانب والرئاسة حتى قالت العرب: لو كنت أعز من أم قرفة، وأمنع من أم قرفة، وقالت ترثي ابنها:

حذيفة لا سلمت من الأعادي
ولا وقيت شر النائبات

أيقتل قِرفة قيس وترضى
بأنعام ونوق سارحات

أما تخشى إذا قال الأعادي
حذيفة قلبه قلب البنات

فخذ ثأراً بأطراف العوالي
وبالبيض الحداد المرهفات

ولما ظهر الإسلام أكثرت من سب النبي صلى الله عليه وسلم، وجهزت ثلاثين راكبًا من ولدها وولد ولدها، وقالت: اغزوا المدينة واقتلوا محمداً، فأرسل إليهم النبي صلى الله عليه وسلم سرية بقيادة زيد بن حارثة ، فظفروا بها، وأسروها ثم قتلوها.

مصادر ترجمتها وأخبارها:

تاريخ الطبري: (٢ / ٦٤٢ ـ ٦٤٣).

جمهرة الأمثال: (٢ / ٦٦).

مجمع الأمثال: (٢ / ٣٢٣).

أعلام النساء: (٤ / ٥٧ ـ ٥٨).

الأعلام: (٥ / ١٢١).

ابن مُفَرِّغ

(ت ٦٩هـ)

هو يزيد بن زياد بن ربيعة الملقب بمفرغ الحميري، أبو عثمان شاعر غزل، وهو الذي وضع سيرة «تبّع وأشعاره» كان من أهل تبالة قرية بالحجاز مما يلي اليمن، واستقر بالبصرة واشتهر بالهجاء المقذع، وله مديح، وهو صاحب البيت المشهور:

العبد يقرع بالعصا

والحر تكفيه الملامة

وفد على مروان بن الحكم فأكرمه، وصحب عبّاد بن زياد بن أبيه، فأخذه معه إلى سجستان وقد ولي عباد إمارتها، فأقام عنده زمنًا، ولم يظفر بخيره، فهجاه وسجنه عباد معه، ثم رق له وأخرجه، فأتى البصرة، وانتقل إلى الشام وجعل ينتقل ويهجو عبادًا و أباه وأهله فقبض عليه عبيدالله بن زياد، وحبسه وأراد أن يقتله فلم يأذن له معاوية، وقال: أدبه، فأمر به فسقي مسهلاً عبارة عن نبيذ حلو خلط معه الشُّبرُم، فأسهل بطنه فطيف به وهو على تلك الحال، وقرن بهرة وخنزيرة، فجعل يسلح والصبيان يتبعونه ويصيحون، وألح عليه ما يخرج منه حتى أضعفه فسقط، فقيل لعبيدالله: لا نأمن أن يموت، فأمر به أن يغسل، ففعلوا، فلما اغتسل قال:

يغسل الماء ما فعلت وقولي

راسخ منك في العظام البوالي

وقيل لعبيدالله: كيف اخترت هذه العقوبة؟ فقال: لأنه سلح علينا، فأحببت أن تسلح الخنزيرة عليه.

وقيل: كان ابن مفرغ يكتب هجاءه لعباد على الجدران فلما ظفر به عبيدالله ألزمه محوه بأظفاره، وطال سجنه، فكلم فيه بعض الناس معاوية، فوجه بريدًا إلى البصرة بإخراجه، فأطلق وسكن الكوفة حتى مات.

ومن محاسن شعره قوله من قصيدة يمدح فيها مروان بن الحكم وقد أحسن إليه:

وأقمتم سوق الثناء ولم تكن

سوق الثناء تقام في الأسواق

فكأنما جعل الإله إليكم

قبض النفوس وقسمة الأرزاق

ومما ورد في هجائه لعباد وكان كبير اللحية، وحدث أن سار ابن مفرغ معه، وثارت الريح فدخلت فيها ونفشتها فضحك ابن مفرغ وقال:

ألا ليت اللحى كانت حشيشاً

فنعلفها خيول المسلمينا

ويقال أيضًا: إنهم دسوا إليه غرماءه يقتضونه، ويستعدون عليه، ففعلوا ذلك، فأمر ببيع ما وجد له، وإعطاء الثمن لغرمائه، وكان فيما بيع له غلام كان رباه يقال له بردٌ، وكان يعدل عنده ولده، وجارية له يقال لها الأراكة، فقال في ذلك:

يا بُردُ ما مسنا دهرٌ أضرَّ بنا

من قبل هذا ولا بعنا له ولدا

أما الأراك فكانت من محارمنا

عيشًا لذيداً وكانت جنة رغدا

لولا الدَّعيُّ ولولا مــا تعــرض له

من الحــوادث مــا فــارقــتــهــا أبداً

مصادر ترجمته وأخباره:

وفيات الأعيان: (٦ / ٣٤٢ ـ ٣٦٧).

الشعر والشعراء: (ص٢٣١ ـ ٢٣٤).

الأغاني: (١٧ / ٥١ ـ ٧٣).

معجم الأدباء: (٢٠ / ٤٣ ـ ٤٦).

طبقات فحول الشعراء: (٢ / ٦٨٦ ـ ٦٩٣).

الأعلام: (٨ / ١٨٣).

يحيى بن طالب

(ت نحو ١٨٠هـ)

هو يحيى بن طالب الحنفي، من بني ذهل بن الدؤل بن حنيفة، من شعراء الدولة العباسية، فيه فروسية وفصاحة، وكرم شديد، كان تاجرًا يشتري غلات السلاطين بقرقرى من أراضي اليمامة، وأصابت الناس فاقة شديدة فجلا أهل البادية ونزلوا بقرقرى ففرق فيهم غلته، ثم ابتاع منه والي اليمامة إبلاً بتأخير، وعزل الوالي، ومُطل يحيى بماله وكثرت عليه الديون فترك اليمامة هاربًا إلى خراسان، وبعث إلى أهله بقصيدة يقول فيها:

ألا هل لشيخ وابن ستين حجة

بكى طربًا نحو اليمامة من عذر

وزهدني في كل خير صنعته

إلى الناس ما جربت من قلة الشكر

إذا ارتحلت نحو اليمامة رفقة

دعاك الهوى واهتاج قلبك للذكر

وحينما وصل إلى الريّ قال:

ألا هل إلى شم الخزامى ونظرة

إلى قرقرى قبل الممات سبيل

فأشرب من ماء الحجيلاء شربة

يداوى بها قبل الممات عليل

أريد رجــوعــًا نحــوها فــيــصــدني
إذا رمــــتــــه ديـن علـيّ ثقــــيـل

وسارت هذه الأبيات في الناس، وغنيت بين يدي الرشيد، فسأل عن قائلها، فأعلم بخبره، فأمر برده وقضاء دينه، ولكن لم تتحقق أمنية الشاعر فلم يشرب من ماء الحجيلاء، ولم يشم الخزامي، حيث عاد البريد الذي أرسل بأنه قد مات بالريَّ قبل شهر، وكان غاية في الجود حمالاً لأثقال قومه، وهو القائل قبل موته:

مــا أنا كــالقــول الذي قلت إن روي
مــحلي عن مــالي حــذار النوائب

بمنـزلـة بـين الـطريـقـين قـــــابـلـت
بـوادي كــــحــــيل كلمـــا عنَّ راكب

جللت على رأسي اليــفــاع ولـم أكن
كمن لاذ مـن خوف القرى بـالحواجب

فلا تسأل الضيفان مـن هم وأدنهم
هم الناس مـن معـروف وجـه وجـانب

وقـولوا إذا مــا الضـيف حل بنجـوة
ألا في ســبـــيل يـحــيى بـن طالـب

كحيل: ناحية كان بها منزله.

مـصادر ترجـمتـه وأخـبـاره:

معجم البلدان: (٧ / ٥٧ ، ٥٨).

الأغاني: (٢٠ / ١٤٩ ـ ١٥١).

الأعلام: (٨ / ١٥٢).

المؤيّد الآلوسي

(٤٩٤ ـ ٥٥٧هـ)

هو أبوسعيد عطاف بن محمد بن علي الآلوسي، الملقب بالمؤيد، من الشعراء، كان كثير الغزل والهجاء، وله في الوزير عون الدين يحيى بن هبيرة مدائح جيدة، اتصل أولاً بخدمة السلطان ملكشاه مسعود بن محمد السلجوقي، ثم دخل بغداد في أيام المسترشد.

يقول العماد الكاتب في الخريدة: «ترفع قدره، وأثرى حاله، ونفق شعره، وكان له قبول حسن، واقتنى أملاكاً وعقاراً، وكثر رياشه، وحسن معاشه، ثم عثر به الدهر عثرة صعب منها انتعاشه، وبقي في حبس المقتدر أكثر من عشر سنين إلى أن خرج في أول خلافة الإمام المستنجد سنة خمس وخمسين وخمسمائة، ولقيته وقد غُشي بصره من ظلمة المطمورة التي كان فيها محبوساً».

وكان سبب حبسه أنه هجى الإمام المقتضي وأصحابه بما لا ينبغي، فقبض عليه ثم سجنه.

ومن شعره وهو محبوس قوله:

رحلوا فأفنيت الدموع تشوقاً

من بعدهم وعجبت إذ أنا باقي

وعلمت أن العود يقطر ماؤه

عند الوقود لفرقة الأوراق

وأبيت مــأســوراً وفــرحــة ذكــركم

عنـدي تعــادل فـــرحـــة الإطلاق

لا تنكر البلوى ســواد مــفــارقي

فــالحــرق يحكم صنعــة الحــراق

مصادر ترجمته وأخباره:

وفيات الأعيان: (٥ / ٣٤٦ ـ ٣٥٠).

فوات الوفيات: (٢ / ٤٥٣ ـ ٤٥٥).

معجم الأدباء: (١٩ / ٢٠٧ ـ ٢٠٩).

ذيل تاريخ بغداد لابن النجار: (٢ / ٢٦٩ ـ ٢٧٤).

الأعلام: (٤ / ٢٣٧).

عُمارة اليمني

(... ـ ٥٦٩هـ)

هو عمارة بن عليّ بن زيدان الحكمي المذْحجِي اليمني، أبو محمد، نجم الدين، مؤرخ ثقة، وشاعر فقيه، كان شديد التعصب لأهل السنة وهو القائل:

ليت الكواكب تدنولي فأنظمها

عقود مدحٍ فما أرضى لكم كلِمي

وكان من بيت إمرة وتقدم من تهائم اليمن، ولد في تهامة ورحل إلى زبيد سنة ٥٣١هـ، وعُدَّ من أكابر التجار وأهل الثروة، وقدم مصر برسالة من القاسم ابن هشام أمير مكة إلى الفائز الفاطمي سنة ٥٥٠هـ، في وزارة «طلائع بن رزيك» فأحسن الفاطميون إليه، وبالغوا في إكرامه، فأقام عندهم ومدحهم، ولم يزل مواليًا لهم حتى دالت دولتهم، وملك السلطان «صلاح الدين الأيوبي» الديار المصرية، فرثاهم عمارة، واتفق مع جماعة على الفتك بصلاح الدين، حيث اتفق معهم على استدعاء الفرنج، وبذلوا لهم شيئاً من المال، فإذا قصدوا البلاد وخرج إليهم صلاح الدين بنفسه ثاروا في القاهرة ومصر وأعادوا الدولة العلوية، وإن أقام صلاح الدين وأرسل العسكر ثاروا به لعدم الناصر له، وحينما علم صلاح الدين قبض عليهم، فشفع فيه القاضي الفاضل وكان بينه وبين عمارة عداوة، فظن عمارة أنه يحرض على هلاكه، فقال لصلاح الدين: ياmولانا لا تسمع منه في حقي، فغضب القاضي الفاضل وخرج، فأخبره صلاح الدين أنه كان يشفع فيه فندم، وعندما أخرج ليصلب طلب أن يمر به على مجلس القاضي الفاضل، فاجتازوا به عليه، فأغلق بابه، فقال عمارة:

عبدُالرحيم قد احتجب

إن الخلاص هو العجب

ثم صُلب، وقيل: إنه صلب منكسًا، وأنه أنشد في تلك الحالة:

وما تعلّقتُ بالسريات منتكسًا
لعلةٍ أوجبت تعذيب ناسوتي

لكنني قد نفثت السِّحَر من كلمي
عُذّبت تعذيب هاروت وماروت

ويقال: إنه نسب إليه بيت من الشعر قاله، وقيل أيضاً: إنه ربما وضع عليه، وهذا البيت هو:

قد كان أول هذا الأمر من رجلٍ
سعى إلى أن دعوه سيِّد الأمم

فأفتى العلماء بقتله، وحرضوا السلطان على المثلة به.

مصادر ترجمته وأخباره:

وفيات الأعيان: (٣ / ٤٣١ ـ ٤٣٦).

سير أعلام النبلاء: (٢٠ / ٥٩٢ ـ ٥٩٦).

الكامل في التاريخ: (١١ / ٣٩٨ ـ ٤٠١).

البدايه والنهايه: (١٢ / ٢٧٤ ـ ٢٧٧).

حسن المحاضرة: (١ / ٤٠٦).

العبر في خبر من غبر: (٤ / ٢٠٨).

شذرات الذهب: (٦ / ٣٨٧ ـ ٣٨٩).

الأعلام: (٥ / ٣٧).

شمس الدين الخيّاط

(... ـ ٧٥٦هـ)

محمد بن يوسف بن عبدالله الدمشقي، شاعر مجيد مكثر، وأديب فاضل، جمع شعره في مجلدين وهو ابن عشرين سنة، زار مصر ومدح الناصر محمد ابن قلاوون، وتسلط على ابن نباته فأكثر من معارضته ومناقضته، وصفه الصفدي بقوله: كان طويل النفس في الشعر، لكن لم يكن له غوص على المعاني ولا احتفال بطريقة المتأخرين ذات المباني.

كان هجاءً، وقد أهين بسبب ذلك ، وقد حج في سنة ٧٥٥هـ فلم يترك في الركب أحداً من الأعيان إلا هجاه، فشكوه إلى أمير الركب فاستحضره وأهانه، وحلق لحيته وطوفه ينادي عليه، فانزعج من ذلك وكمد، ومات عن قرب وكانت وفاته في عودته من الحج، ودفن على قارعة الطريق.

وكان كثير التلاوة للقرآن، وحج عدة مرات، ومن شعره قوله:

قد طال فكري في قريض الندى

من نفعه لست على طائل

أمرني زيداً فصرت امرءاً

صاحب ديوان بلا حاصل

مصادر ترجمته وأخباره:

نفح الطيب: (١ / ٩٦)، (٢ / ٣٩٣).

العبر في خبر من غبر: (٦ / ٣٠٦ ـ ٣٠٧)

الدرر الكامنة: (٤ / ٦٨ ـ ٦٩).

الوافي بالوفيات: (٥ / ٢٨٣ ـ ٢٩٠).

الأعلام: (٧ / ١٥٣).

المغنون

الأُرْمَوي

(... ـ ٣٩٣ هـ)

صفي الدين عبدالمؤمن بن يوسف بن فاخر الخوري الأُرموي البغدادي، خدم الخليفة المستعصم وكتب له، وضرب بين يديه بالعود، فأعجبه، وأمره بملازمة مجلسة، ثم أنعم عليه، فكان مرتبه في الديوان كل سنة خمسة آلاف دينار، وظهرت براعته في ضرب العود فغنى لهولاكو، فارتفعت منزلته عنده، وضاعف جائزته، وكان ينفق أمواله في الملاذ، وينعم نفسه كثيرًا، فقد يكون ثمن فاكهته وخضرته أربعمائه درهم.

وبعد هولاكو اتصل بخدمة علاء الدين عطا ملك الجويني وأخيه شمس الدين، ورفعا مكانته، وأغدقا عليه الأموال، فيتحدث عن نفسه قائلاً: «وبعد موت علاء الدين، وقتل شمس الدين زالت سعادتي وتقهقرت إلى وراء في رزقي وعمرى وعيشي وعلتني الديون».

ثم حبس في دين مبلغه ثلاثمائة دينار عجز عن سداده، وتوفي في حبسه.

مصادر ترجمته وأخباره:

الوافي بالوفيات: (٢ / ٤١١ ـ ٤١٣).

الأعلام: (٤ / ١٧٠).

الأطباء

ابن نَفِيس

(٧٥٩ ـ ٨١٦ هـ)

طبيب كبير، بل رئيس أطباء عصره، ومن خير أهل زمانه عقلاً وديانة، وحسن عبارة، ومحبة للسنة وأهلها، وتأله، وشدة نسك واسمه: فتح الله بن معتصم بن نفيس الداودي العناني التبريزي، كانت إليه كتابة السر في مصر.

ولد بتبريز ونشأ بالقاهرة، توفي والده وهو صغير فكفله عمه، وحينها تفقه بالحنفية، وتعلم لغات مختلفة، وبرّز في علم الطب وعلا شأنه فيه، وصف ببراعة الجمال، وحلاوة الشكل فانتزعه برقوق الظاهر، وصار من أخص مماليكه، واشتهر ذكره وشاع طبه، وارتفع شأوه.

وحينما توفي عمه (بديع) استفرغ رئاسة الطب بعد موته، وكان الظاهر برقوق معجباً به، فعينه رئيسًا للأطباء، وخلع عليه سنة (٨٠١هـ) فاستمر إلى أن مات الظاهر برقوق، وتولى الأمر السلطاني فرج الناصر فقبض عليه سنة (٨٠٨هـ) وألزمه بمال فحمله، فأفرج عنه، ثم أعيد إلى كتابة السر بعد تسعة أشهر، واتسعت حالته وزانت، ونيط به جل الأمور إلى أن قتل الناصر، وخلفه المستعين بالله العباسي، واستبد أحد الأمراء بالمملكة المصرية، واعتقل الخليفة، ثم قبض عليه سنة (٨١٥هـ) وسجن ثم خنق.

وكان من أفضل أهل زمانه طبًا وعلمًا وفهمًا، قال عنه البقاعي: كان ذا باع طويل في الطب، حتى إنه مرَّ يومًا في سوق الكتبيين فرأى شخصًا ينسخ في كتاب، وليس به مرض، فتأمله، وقال: هذا يموت اليوم، فكان كذلك.

كانت فيه فضائل جمة، غطاها شحه، حتى اختلق عليه أعداؤه معايب برأه الله منها، إلا أنه كان يخذل صديقه عندما يكون محتاجاً للمال، وجُوزي بنفس عمله، فعندما نُكب تخلى عه كل الناس وامتنعوا عن زيارته.

مصادر ترجمته وأخباره:

شذرات الذهب: (٩ / ١٨٠).

الضوء اللامع: (٦ / ١٦٥ ـ ١٦٦).

الأعلام: (٥ / ١٣٦).

الفهارس

فهرس الشخصيات

الملوك والخلفاء والأمراء

الــــــــوزراء

العلماء

الأدباء

الشعراء

المغنون

الأطباء

فهرس المصادر والمراجع

● **أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام.**

تأليف: عمر رضا كحاله.

مؤسسة الرسالة ـ لبنان ـ بيروت الطبعة الثالثة، ١٣٩٧هـ، ١٩٧٧م.

● **الأعلام.**

تأليف: خير الدين الزِرِكلي

دار العلم للملايين ـ لبنان ـ بيروت. الطبعة السادسة، ١٩٨٤م.

● **الأغاني.**

تأليف: أبي الفرج الأصبهاني علي بن الحسين بن محمد القرشي.

دار الشعب ـ القاهرة.

● **إنباه الرواة على أنباء النُحاة.**

تأليف: الوزير جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف القفطي.

تحقيق: محمد أبوالفضل إبراهيم.

دار الفكر العربي القاهرة ، مؤسسة الكتب الثقافية ـ بيروت الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

● **البداية والنهاية.**

تأليف: الإمام الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي.

مطبعة السعادة ـ مصر

● **بُغية الطلب في تاريخ حلب.**

تأليف: ابن العديم الصاحب كمال الدين عمر بن أحمد بن أبي جرادة.

تحقيق: الدكتور سهيل زكار.

دار الفكر.

● **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب.**

تأليف: ابن عذاري المرَّاكُشي

تحقيق: الدكتور إحسان عباس.

دار الثقافة لبنان ـ بيروت ـ الطبعة الأولى عام، ١٩٦٧م.

● **البيان والتبيين.**

تأليف: أبي عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الجاحظ.

تحقيق وشرح: حسن السندوبي.

مطبعة الاستقامة ـ القاهرة ـ الطبعة الرابعة، ١٣٧٥هـ ـ ١٩٥٦م.

● **تاريخ ابن جرير الطبري. تاريخ الرسل والملوك.**

تأليف: أبي جعفر محمد بن جرير الطبري.

تحقيق: محمد أبوالفضل إبراهيم.

دار المعارف ـ مصر ـ الطبعة الثانية.

● **تاريخ بغداد أو مدينة السلام.**

تأليف: الحافظ أبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي.

دار الكتاب العربي ـ لبنان ـ بيروت.

● **تاريخ الخلفاء.**

تأليف: الإمام الحافظ جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي.

تحقيق: محمد محيى الدين عبدالحميد.

مطبعة الفجالة الجديدة ـ القاهرة. الطبعة الرابعة، ١٣٨٩هـ ـ ١٩٦٩م.

● **تاريخ اليعقوبي.**

تأليف: أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح.

دار بيروت ـ عام ١٤٠٠هـ.

● **جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام.**

تأليف: أبي زيد محمد بن أبي الخطاب القُرشي.

تحقيق: الدكتور محمد علي الهاشمي.

دار القلم ـ دمشق ، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

● **جهرة الأمثال.**

تأليف: الشيخ الأديب أبي هلال العسكري.

تحقيق: محمد أبوالفضل إبراهيم. عبدالمجيد قطامش.

المؤسسة العربية الحديثة ـ القاهرة. الطبعة الأولى عام ١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٤م.

● **حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة.**

تأليف: جلال الدين عبدالرحمن السيوطي.

تحقيق: محمد أبوالفضل إبراهيم.

دار إحياء الكتب العربية. الطبعة الأولى عام ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧م.

● **خريدة القصر.**

● **الدّرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة.**

تأليف: شيخ الإسلام شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلاني.

تحقيق: محمد سيّد جاد الحق.

دار الكتب الحديثة.

● **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة.**

تأليف: أبي الحسن عليّ بن بسّام الشنتريني.

تحقيق: الدكتور إحسان عباس.

دار الثقافة ـ لبنان ـ بيروت، الطبعة الأولى، عام١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م.

● **ذيل تاريخ بغداد.**

تأليف: الحافظ محب الدين أبي عبدالله محمد بن محمود بن الحسن المعروف بابن النجار البغدادي.

تصحيح: الدكتور قيصر فرح.

الطبعة: مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ـ الهند. الطبعة الأولى، عام ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م.

● **سير أعلام النبلاء.**

تأليف: الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي.

مؤسسه الرسالة ـ بيروت ـ الطبعة الأولى، عام ١٤٠٥هـ.

● **شذرات الذهب في أخبار من ذهب.**

تأليف: ابن العماد الإمام شهاب الدين أبي الفلاح عبدالحي بن أحمد بن محمد العكري.

تحقيق: عبدالقادر الأرناؤوط ـ محمود الأرناؤوط.

دار ابن كثير ـ دمشق ـ بيروت. الطبعة الأولى عام ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

● **الشعر والشعراء.**

تأليف: أبي محمد عبدالله بن مسلم ـ ابن قتيبه.

تقديم: الشيخ حسن تميم.

مراجعة وفهرسه: الشيخ محمد عبدالمنعم العريان.

دار إحياء العلوم ـ لبنان ـ بيروت. الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

● **الشوارد.**

تأليف: عبدالله بن محمد بن خميس.

دار اليمامة، عام ١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م.

● **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع.**

تأليف: المؤرخ شمس الدين محمد بن عبدالرحمن السخاوي.

مكتبة القدسي ـ القاهرة سنة ١٣٥٣هـ.

● **طبقات الشافعية الكبرى.**

تأليف: تاج الدين أبي نصر عبدالوهاب بن علي بن عبدالكافي السُبكي.

تحقيق: محمود محمد الطناحي ـ عبدالفتاح محمد الحلو.

مطبعة عيسى البابي الحلبي ـ الطبعة الأولى، عام١٣٨٦هـ ـ ١٩٦٤م.

● **طبقات فحول الشعراء.**

تأليف: محمد بن سلام الجُمحي.

دار النهضة العربية ـ لبنان ـ بيروت.

● **العبِر في خبر من غبر.**

تأليف: مؤرخ الإسلام الحافظ الذهبي.

مطبعة حكومة الكويت ١٩٨٤م ـ الطبعة الثانية.

● **العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده.**

تأليف: أبي علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي.

تحقيق: محمد محيى الدين عبدالحميد.

دار الجيل ـ لبنان ـ بيروت.

● **فوات الوفيات.**

تأليف: محمد بن شاكر الكتبي.

تحقيق: الدكتور إحسان عباس.

دار صادر بيروت ١٩٧٤م.

● **القاموس المحيط.**

تأليف: العلامة اللغوي مجدالدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي.

مؤسسة الرسالة ـ لبنان ـ بيروت. الطبعة الثانية ـ ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.

● **الكامل في التاريخ.**

تأليف: العلامة عز الدين أبي الحسن عليّ بن أبي الكرم محمد بن محمد ابن عبدالكريم بن عبدالواحد الشيباني المعروف بابن الأثير.

دار صادر ـ دار بيروت ـ عام ١٣٨٥هـ ١٩٦٥م.

● **كشف الظنون.**

● **الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة.**

تأليف: الشيخ نجم الدين الغزي.

تحقيق: جبرائيل سليمان جبّور.

محمد أمين دمج ـ لبنان ـ بيروت.

- **مجمع الأمثال.**

تأليف: أبي الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري الميداني.

تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد.

مطبعة السنة المحمدية عام ١٣٧٤هـ ـ ١٩٥٥م.

- **مروج الذهب ومعادن الجوهر.**

تأليف المؤرخ الجليل أبي الحسن عليّ بن الحسين بن علي المسعودي.

- **معجم الأدباء.**

تأليف: ياقوت الحموي.

دار إحياء التراث العربي ـ لبنان ـ بيروت.

- **معجم البلدان.**

تأليف: أبي عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي.

دار صادر ـ دار بيروت، عام ١٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٤م.

- **معجم الشعراء.**

تأليف الإمام أبي عبيدالله محمد بن عمران المرزباني.

تصحيح وتعليق: الأستاذ الدكتور ف. كرنكو.

دار الجيل ـ بيروت ـ الطبعة الأولى عام ١٤١١هـ.

● **معجم المؤلفين.**

تأليف: عمر رضا كحاله.

مكتبة المثنى ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

● **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم.**

تأليف: أبي الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد ابن الجوزي.

دراسة وتحقيق: محمد عبدالقادر عطا ـ مصطفى عبدالقادر عطا.

مراجعة: نعيم زرزور.

دار الكتب العلمية ـ لبنان ـ بيروت. الطبعة الأولى عام ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.

● **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب.**

تأليف الشيخ: أحمد بن محمد المقري التلمساني.

تحقيق: الدكتور إحسان عباس.

دار صادر بيروت ـ عام ١٣٨٨هـ ، ١٩٦٨م.

● **الوافي بالوفيات.**

تأليف: صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي.

دار صادر ـ بيروت عام ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.

● **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان.**

تأليف: أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان.

تحقيق: الدكتور إحسان عباس.

دار صادر، بيروت.

- **يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر.**

تأليف: أبي منصور عبدالملك الثعالبي النيسابوري.

شرح وتحقيق: الدكتور مفيد محمد قميحه.

دار الكتب العلمية ـ لبنان ـ بيروت. الطبعة الأولى عام ١٤٠٣هـ.